إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الإساءة كما يصورها القرآن الكريم
دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: حذيفة مجدي المصري
Signature:	التوقيع: حذيفة
Date:	التاريخ: 28 / 3 / 2016

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الإساءة كما يصورها القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Offence as Holy Quran explains

(thematic Study)

إعداد

الطالب: حذيفة مجدي المصري

الرقم الجامعي

(120110575)

إشراف

د: إبراهيم عيسى صيدم

قُدِّمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

العام الجامعي: ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم..... ج س غ/35/ Ref

التاريخ..... 2015/12/26م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **حذيفة مجدي حميدان المصري** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الإساءة كما يصورها القرآن الكريم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 15 ربيع الأول 1437هـ، الموافق2015/12/26م الساعة الثانية عشرة ظهراً بفرع الجنوب، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. إبراهيم عيسى صيدم	مشرفاً و رئيساً	.....
د. صبحي رشيد اليازجي	مناقشاً داخلياً	.....
د. تميم ضيف الله ضهير	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الحشر:٢١]. }

الإِهْـــــدَاء

*إلى وصية الله تعالى؛ أُمِّي الغالية أنار اللهُ قبرَها، وأبي الغالي الذي كان داعماً لتعلُّمي العلمَ الشرعيَّ حفظه اللهُ.

*إلى شريكةِ حياتي؛ زوجتي العزيزة التي كانت عوناً لي طوالَ كتابةِ الرسالة.

*إلى ولدي اليمان جعله اللهُ من أهلِ الإيمانِ، وخادماً لسُنَّة النبيِّ العدنان.

*إلى إخواني وأخواتي الأحباب حفظَهُم اللهُ.

*إلى عائلتي الوفيَّة عائلة المصري جعلها الله ذخراً للوطن.

*إلى مشايخي الأفاضل نفعَ اللهُ بهم.

*إلى الجامعةِ الإسلاميةِ منبعِ العلمِ والمعرفةِ.

*إلى كلِّ مَنْ يعملُ لخدمةِ الدينِ الإسلاميِّ، والسنةِ النبويةِ.

*إلى طلبةِ العلمِ الشرعيِّ الذين يدعونَ إلى اللهِ تعالى.

*إلى المسجدِ الأقصى حفظه اللهُ من كيدِ الأعداء.

شـــكـــــرٌ وتقـــديـــرٌ

الحمدُ لله أتمَّ النعمةَ على الأُمَّةِ وأكمل لها دينَها، وآتى الحكمةَ أهلَها، وتمَّمَ بمُحمَّدٍ مكارمَ الأخلاقِ كلَّها، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نستظلُّ بظلِّها نموتُ ونحيا عليها ونلقى اللهَ بها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه النبيُّ المهداة، والنِّعمةُ المسداة أرسله اللهُ تعالى بالحقِّ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فختم به الرسالة، وعلَّم به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وبعد....

لا شكَّ أنَّ تعلُّمَ القرآن وعلومه من أجلِّ النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، لذلك كان لزاماً عليَّ أن أشكر اللهَ تعالى على هذه النعمة العظيمة، قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم:٧]، فالحمدُ والشكرُ أولاً وأخيراً لله تعالى الذي قدَّر لي هذا العلم وهذه الدراسة، وهيَّأ لي أسبابها، فله الفضلُ سبحانه جلَّ في علاه، فما كان في هذا البحث من توفيق فمِنَ الله وحده، وما كان من خطأ أو نقص فمن الشيطان، أبرأُ إلى الله تعالى منه، وأستغفرُ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال تعالى: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[الأحقاف:١٥]

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على حفظ الفضل لأهله، فقال: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) [1]، لذلك فإنني أتقدَّمُ بالشكر الجزيل لكلٍّ من:

***والدي ومُعلمي وقرة عيني الشيخ: مجدي حميدان المصري الذي ربَّاني على الخُلُق القويم منذ صغري على الذهاب إلى المساجد للصلاة وتلاوة القرآن الكريم.**

***جامعتي الغرَّاء الجامعة الإسلامية رئاسةً وإدارةً وموظفين، وأخصُّ بالشكر كلية أُصول الدين، ولا أنسى أن أُقدِّمَ التحية إلى العاملين بمكتبة الجامعة الإسلامية لما قدَّموا من خدمات في توفير كافة المراجع اللازمة لذلك.**

***الدكتور: إبراهيم عيسى صيدم حفظه الله وسدَّد خطاه لما بذله من جهد، وما قدَّمه من نصائح وتوجيهات، فجزاه الله خيراً.**

***الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة كلٌّ من:**

الدكتور: صبحي رشيد اليازجي حفظه الله (مناقشاً داخليًّا).

الأستاذ الدكتور: تميم ضيف الله ضهير حفظه الله (مناقشاً خارجيًّا).

***كلِّ من أسدى لي خدمةً، أو نصيحةً، أو علَّمني حرفاً.**

(١) رواه الترمذي في سننه ٣٣٩/٤، ح ١٩٥٤ ، وصححه الإمام الألباني في الجامع الصغير وزيادته ١١٥٥/١، ح ١١٥٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله علم القرآن، وجعله في أعلى درجات البيان، وحفظه من الزيادة والنقصان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل القرآن الكريم رحمةً للعالمين، فمن تمسك به نال مناه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، أما بعد:

إنَّ القرآنَ الكريمَ معانيه أعذبُ من الماء البارد الحلو للعطشان، وأرقُّ من نسيم الجنان، هو نورٌ يُضيءُ للمؤمنين طريقَ الحياة؛ ليصلُوا إلى برِّ الأمان، أعظمُ من نورِ الشمسِ للأكوان.

لقد ضاعت الأمانةُ في عصرنا الحاضر بين الناس وانتشر الفسادُ في الأرض، وظهر المُسيئون الذين يُظهرون إساءتهم في مجتمعاتهم ونواديهم بالمنكر رغم أنَّ الله تعالى بيَّن مصير هؤلاء حتى نأخذ الدروس والعبر، ودعا إلى كيفية التخلص من هذه الأخلاق السيئة، والعمل على بناء مجتمع فاضل نظيف.

ولمَّا كان البحثُ في كلامِ الله تعالى خيرَ العلومِ وأشرفَها وأنفعَها للناس، كانت هذه الدراسة حول موضوع من موضوعاته بين واقع الأمة الذي يعالج كثيرًا من الآفات التي يقع فيها كثيرٌ من الناس.

سائلا المولى عز وجل التوفيق والسداد.

أولًا: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:

١- بيان نظرة القرآن الكريم إلى المسيئين، وتقديم أفضل الوسائل للتعامل معهم.

٢-حاجة الواقع المعاصر إلى مثل هذه الموضوعات التي تتصل بالأخلاق، حيث كثرة الإساءات في مختلف المجالات على جميع الأصعدة.

٣-إفادة المسلمين في حياتهم السلوكية من خلال النماذج والقصص القرآني، وبيان مصير المسيئين في الأقوام السابقة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١-إرضاءُ الله سبحانه وتعالى وتطبيقا لأوامره، وخدمة لكتاب الله سبحانه وتعالى.

٢-إثراءُ المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

٣-فسادُ أحوال كثير من الناس وإساءتهم في معاملاتهم وعلاقاتهم وثقافتهم وأفكارهم وغيرها من المجالات، هذا دفعني لأن أكتب هذا الموضوع، مستندًا في ذلك على أساس متين، على كتاب ربِّ العالمين.

ثالثًا :أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١-زرع الأخلاق الحسنة والفضائل النبيلة، لتحسين العلاقات بين المسلمين، والتخلص من أسباب الفساد في المجتمع السليم.

٢-بيان شمولية القرآن الكريم لكل مشكلات الحياة الإنسانية.

٣-فتح آفاق جديدة أمام الباحثين من خلال هذا الموضوع.

٤-إنارة الطريق للمحسنين وبيان منزلتهم عند الله تعالى.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية، عبر الشبكة العنكبوتية، ومراسلة مركز الملك فيصل وبعد مشاورة الإخوة المتخصصين لم أعثر على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع بشكل خاص ومتكامل إلا رسالة واحدة كانت بعنوان (الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام) فيما أعلم، والله أعلم.

خامسًا: منهج البحث:

سيقوم الباحث باتباع الخطوات الآتية:

١-اتباع المنهج الموضوعي في التفسير.

٢-ربط هذا الموضوع بالواقع الذي نعيشه من أجل الإفادة.

٣-الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة والكتب ذات الصلة.

٤-عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني، وذلك في متن البحث.

٥-تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما خرجته من مصادره، مع ذكر الحكم على الحديث.

٦-تحقيق الأمانة العلمية في عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، مع التوثيق حسب الأصول، وعند الحصول على المعنى العام من الأقوال فيكتفي الباحث بقول (انظر)، ثُمَّ يذكر المراجع التي استفاد منها، وإذا نقلتُ الكلام نصًّا أضعه بين شولتين.

٧-الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورين، والتعريف بغريب البلدان والأماكن إن وُجد.

٨-الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف والمجلد ورقم الصفحة.

٩-عمل الفهارس اللازمة للوصول للمعلومة بأسهل طريقة ممكنة.

سادسًا: خطة البحث:

التمهيد:

مفهوم الإساءة وعدد ورودها ومشتقاتها ونظائرها والأساليب التي تدلُّ عليها.

وتتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة .

ويشتمل على أربعة:

المطلب الأول: الإساءة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ذمُّ الإساءة والنهي عنها.

المطلب الثالث: آثار الإساءة وأقوال السلف فيها.

المطلب الرابع: أسباب الوقوع في الإساءة والوسائل المعينة على تركها.

المبحث الثاني: عدد مرات ورود الإساءة ومعانيها في السياق القرآني.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عدد ورود الإساءة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني الإساءة في السياق القرآني.

المبحث الثالث: مشتقات الإساءة ونظائرها.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مشتقات الإساءة.

المطلب الثاني: نظائر الإساءة.

المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي تدلُّ على الإساءة.

الفصل الأول: مفهوم الإساءة إلى الذات الإلـهية وأنواعها.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى الذات الإلـهية.

المبحث الثاني: أنواع الإساءة إلى الذات الإلـهية.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإساءة بالقول.

المطلب الثاني: الإساءة بالفعل.

الفصل الثاني: مفهوم الإساءة إلى الكتب السماوية في القرآن.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مفهوم الإساءة إلى التوراة والإنجيل.

الفصل الثالث: مفهوم الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام.

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول :الإساءة لنوح عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول :إساءة قوم نوح عليه السلام لنبيهم.

المطلب الثاني :هلاك المسيئين من قوم نوح.

المبحث الثاني: الإساءة للوط عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إساءة قوم لوط عليه السلام لنبيهم.

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم لوط.

المبحث الثالث: الإساءة لموسى عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إساءة قوم موسى لنبيهم.

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم موسى.

المبحث الرابع: الإساءة للنبي محمدﷺ .

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إساءة المشركين للنبيﷺ .

المطلب الثاني: إساءة اليهود للنبيﷺ.

المطلب الثالث: إساءة المنافقين للنبيﷺ.

المطلب الرابع: الأسباب الداعية إلى نشر الإساءة لسيد المرسلين.

الفصل الرابع: وسائل علاج الإساءة في ضوء القرآن الكريم.

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: علاج القرآن الكريم للإساءة بكظم الغيظ.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف كظم الغيظ لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب كظم الغيظ وفضله.

المبحث الثاني: علاج القرآن الكريم للإساءة بالعفو عن الناس.

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: تعريف العفو لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب العفو عن الناس ومنزلته.

المبحث الثالث :علاج القرآن الكريم للإساءة بالصفح عن الناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الصفح لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب الصفح عن الناس وفضله.

المبحث الرابع : علاج القرآن الكريم للإساءة بالمغفرة للناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المغفرة لغةً واصطلاحًا .

المطلب الثاني: ثواب المغفرة للناس ومنزلتها.

المبحث الخامس :علاج القرآن الكريم للإساءة بالإحسان إلى الناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الإحسان لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب الإحسان إلى الناس ومنزلته.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وتحتوي على:

١-فهرس الآيات القرآنية.

٢-فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس المصادر والمراجع.

٤-فهرس الموضوعات.

والله تعالى أعلم، وصلَّى اللهُ وسلَّم على الرسول الأكرم.

التمهيد:

مفهوم الإساءة وعدد ورودها ومشتقاتها ونظائرها والأساليب التي تدلُّ عليها.

وتتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة .

ويشتمل على أربعة:

المطلب الأول: الإساءة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ذمُّ الإساءة والنهي عنها.

المطلب الثالث: آثار الإساءة وأقوال السلف فيها.

المطلب الرابع: أسباب الوقوع في الإساءة والوسائل المعينة على تركها.

المبحث الثاني: عدد مرات ورود الإساءة ومعانيها في السياق القرآني.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عدد ورود الإساءة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني الإساءة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مشتقات الإساءة ونظائرها.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مشتقات الإساءة.

المطلب الثاني: نظائر الإساءة.

المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي تدلُّ على الإساءة.

ويشتمل على مطلب واحد:

أساليب قرآنية تدلُّ على الإساءة.

التمهيد:

مفهوم الإساءة وعدد ورودها ومشتقاتها ونظائرها والأساليب التي تدلُّ عليها.

وتتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة .

ويشتمل على أربعة:

المطلب الأول: الإساءة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ذمُّ الإساءة والنهي عنها.

المطلب الثالث: آثار الإساءة وأقوال السلف فيها.

المطلب الرابع: أسباب الوقوع في الإساءة والوسائل المعينة على تركها.

المطلب الأول: الإساءة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الإسَاءةُ لغةً: "الإساءة مصدر أساء الرَّجل إساءةً: خِلاف أحْسَن، وأساء الشَّيء: أفْسَده، ولم يُحْسِن عَمَله، ويقال: أساء به، وأساء إليه، وأساء عليه، وأساء له ضِد أحسن، معنًى واستعمالًا، وقول سَيِّئ: يَسُوء"(١)، والاساءة "اسم للظلم يقال أساء إليه إذاً ظلمه"(٢)، والسُّوء "اسم جامع للآفات والداء"(٣).

*** ***

ثانياً: الإساءةُ اصطلاحًا: "فعل أمر قبيح جار مجرى الشَّرِّ يترتَّب عليه غمٌّ لإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو فتية"(٤)، والإساءة "خلق ذميم، وسلوك مشين وطريق موصّل إلى غضب الله وسخطه"(٥)، وأعظم الإساءة: "الإستهزاء بآيات الله خوضًا ولعبًا، وسب الله العظيم، وسب آياته وشريعته، وهذا هو أعظم الجرم، وهو الكُفْر البواح"(٦).

*** ***

(١) انظر مفردات القرآن للرَّاغب الأصفهاني ص: ٤٤١ ، تاج العروس للزبيدي ٢٧٤/١ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٩٥/١ .

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٣/١ .

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٨٣٨٣/٩ .

(٥) المرجع السابق ٣٨٧١/٩.

(٦) موسوعة الأخلاق للخراز ١٢١/١ .

المطلب الثاني: ذمُّ الإساءة والنهي عنها.

أولاً: ذمُّ الإساءة والنهي عنها في القرآن الكريم :

ذمّ القرآن الكريم الإساءة ونهى عنها في كثير من الآيات، ومنها:

١-قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)** [البقرة: ٨٣]، "وفيه النَّهي عن الإِسَاءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة، لأنَّ الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده، وللإحسان ضدَّان: الإِسَاءة، وهي أعظم جرمًا، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم"[١].

٢-قال تعالى:**(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ)**[المؤمنون: ٩٦] أي: " ادْفَعْ يَا مُحَمَّدُ بِالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَذَلِكَ الإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ عَنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَذَلِكَ أَمْرُهُ إِيَّاهُ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحَرْبِهِمْ، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه ، وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله" [٢]، وعن الحسن، في قوله: **(ادفع بالتي هي أحسن السيئة)** [المؤمنون: ٩٦] قال: "والله لا يُصيبُها صاحبُها حتى يكظمَ غيظاً ، ويصفح عما يكره"[٣].

٣-قال تعالى:(**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...)** [الإسراء: ٧]. "أي: نَفْعُ إِحْسَانِكُمْ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ، **(وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)** أَيْ فَعَلَيْهَا، نَحْوَ سَلَامٌ لَكَ، أَيْ سَلَامٌ عَلَيْكَ"[٤].

٤-قال تعالى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)** [فصّلت: ٣٤-٣٥].

قال الإمام ابن كثير:-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "من أساء إليك فادفعه عنك

---

(١) مجموعة الأخلاق الإسلامية-الدرر السنية- لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف ٥٩/١ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٠٤/١٧ .

(٣) المرجع السابق ١٠٥/١٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٧/١٠ .

بالإحسان إليه، وقال ابن عباس – رضي الله تعالي عنهما–: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة"[1].

وقال السعديُّ –رحمه الله– في تفسيره: "أي: فإذا أَسَاء إليك مُسِيءٌ مِن الخَلْق –خصوصًا مَن له حقٌّ كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم– إِسَاءةً بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْه، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلَّم فيك –غائبًا أو حاضرًا– فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللَّيِّن. وإن هجرك، وترك خِطَابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السَّلام، فإذا قابلت الإِسَاءة بالإحسان، حصل فائدةٌ عظيمةٌ"[2].

٥–قال تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ)** [فصِّلت:٤٦]، **قال الطبري رحمه الله:** "من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهيه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني **(ومن أساء فعليها)** [فصلت: ٤٦] يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحدا سوى نفسه **(ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)** [السجدة: ١١] يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[3].

يتبيَّنُ من خلال هذه الأدلة القرآنية مدى العواقب الأليمة، والآثار الوخيمة التي حذَّرَ منها القرآنُ الكريمُ التي تلحقُ بالمسيء، كذلك لا ينبغي للمسلم أن يُقابلَ الإساءة بالإساءة، لأنَّ الإحسان الحقيقي أن تُحسنَ لمن أساء إليك.

---

(١) مكارم الأخلاق لمن أراد الخلاق لأنور بن أهل الله ٥١/١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٧٥١).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٨٣/٢١ .

ثانياً: ذمُّ الإساءة والنهي عنها في السنة النبوية.

ذمّت السنة النبوية الوقوع في الإساءة لما لها من آثار وخيمة وأضرار بليغة خاصةً في نشر الدعوة إلى الله تعالى، وقد جمعتُ بعض الأدلة التي حذرت من الوقوع في الإساءة نظراً لعواقبها الأليمة في حياة الفرد والمجتمع ومن هذه الأدلة ما يلي:

١-(عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : إنَّ اللهَ قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضتُه عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنّوافل حتّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الَّذي يسمعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصرُ به، ويدَه الّتي يبطشُ بها، ورجلَه الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما ترددّت عن شيءٍ أنا فاعلُه ترددُّي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) [(١)].

٢-(عن أبي زهير الثَّقفيِّ- رضي الله عنه- قال: خطبنا رسولُ الله ﷺبالنباوة أو البناوة (قال: والنباوة من الطَّائف) قال: يُوشكُ أن تعرفوا أهلَ الجنَّة من أهل النَّار» . قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: بالثَّناء الحسن والثَّناء السّيّء، أنتم شهداءُ الله، بعضكم على بعض)[(٢)].

٣-عن معاذ بن جبل ﷺ: أنَّ النَّبي ﷺ بعثه إلى قوم، فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: **(أفشِ السَّلام وابذل الطَّعام... وإذا أَسَأت فأَحْسِن، ولتُحَسِّن خُلُقَك ما استطعت)**[(٣)].

أي: "وإذا أَسَأت فأَحْسِن، وهو يحتمل معنيين، أحدهما: أنَّه إذا فعل معصية، يحدثها توبة، أو طاعة، وإذا أَسَاء إلى شخصٍ، أَحْسَن إليه، ومنه قوله تعالى: **(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ)** [فصِّلت: ٣٤]"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ١٠٥/٨،ح ٦٥٠٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، ١/ ٢٠٨، ح ٤١٣، وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه البزار في مسنده ٨٩/٧ ،ح ٢٦٤٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٥٥٩.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ٢٤١٦/٦ .

٤-(عن عبد الله ﷺ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟، قال النَّبيُّ ﷺ: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت)[١].

٥-عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن أحسن فيما بقي، غُفِر له ما مضى، ومَن أَسَاء فيما بقي، أُخِذ بما مضى وما بقي) [٢].

٦-عن ابن مسعود ﷺ قال: (قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهليَّة؟ قال: مَن أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومَن أَسَاء في الإسلام أُخِذ بالأوَّل والآخر)[٣].

قال المناوي-رحمه الله-: (المراد بالإساءة: الكفر، وهو غاية الإساءة)[٤].

٧-(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسناتٌ أُخذَ من سيِّئاتِ صاحبه فحمل عليه) [٥].

٨-(عن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ قال: يا رسول الله، علِّمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «يا أبا بكر، قل: اللهمَّ فاطر السّماوات والأرض عالم الغيب والشّهادة لا إله إلَّا أنت ربُّ كلِّ شيء ومليكه، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشَّيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرَّه إلى مسلم)[٦].

أقول: إنَّ السنَّة النبوية كان لها دورٌ هامٌّ جداً في معالجة الإساءات التي كانت تقع بين الناس، كما حثَّت على ثواب المُحسِن، وحذَّرت من عقوبة المسيء.

*** ***

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ٢/٢٨٥ ، ح ٥٢٦ ، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/٤٦، ح ٦٨٠٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٣٨٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٩/١٤، ح ٦٩٢١ ومسلم في صحيحه ١/١١١، ح ١٩٠ .

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٧٥٤ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٩، ح ٢٤٤٩ .

(٦)رواه الترمذي في سننه ٥/٥٤٢ ، ح ٣٥٢٩ ، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٢٧٦٣ .

المطلب الثالث: آثارُ الإساءة وأقوالُ السلف فيها.

أولاً: آثارُ الإساءة:

إنَّ للإساءة آثار وعواقب أليمة سواءً في الدنيا أو في الآخرة، لذلك ينبغي على المسلم أن يتجنبَ الإساءةَ بجميع أشكالها، حيث أنَّني وقفتُ على بعضٍ من هذه آثار التي تُهلكُ صاحبها، ومنها ما يلي:

١-الإسَاءةُ إلى الآخرين تُسَبِّب العداوة والبغضاء والشحناء بين أفراد المجتمع.

٢-أنَّ الإسَاءةَ تسبِّبُ قسوةً وظُلمةً في القلب.

٣-أنَّ مَن رضي لنفسه بالإسَاءة، شهد على نفسه بالرَّداءة.

٤-أنَّ الإسَاءةَ تزرعُ النفاقَ في قلبِ الإنسان.

٥-أنَّ الإسَاءة قد تمنعُ مِنْ الشَّفاعة، قال أبو الدَّرداء ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **(لا يكون** اللَّعَّانون شفعاءَ ولا شهداءَ يوم القيامة**)** [١]، وقال ابنُ القيِّم: "قول النَّبي ﷺ: **(لا يكون اللَّعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)**؛ لأنَّ اللَّعنَ إساءةٌ، بل مِن أبلغ الإسَاءة، والشَّفاعة إحسان، فالمسيء في هذه الدَّار باللَّعن، سلبه الله الإحسان في الأخرى بالشَّفاعة، فإنَّ الإنسان إنَّما يحصد ما يزرع، والإسَاءة مانعة مِن الشَّفاعة التي هي إحسان" [٢].

٥-أنَّه كلَّما ازداد الإنسان إساءة ازداد وحشة [٣]،وإنَّ أخوفَ النَّاسِ أشدُّهم إساءةً[٤].

٧-الإساءةُ طريقٌ موصّلٌ إلى غضبِ الله وسخطِه[٥].

٨-الإساءةُ تُذهبُ حلاوةَ الإيمانِ ونورَ الإسلامِ[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٠٦/٤ ، ح ٢٥٩٨.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيِّم ٣٠٣/٤ .

(٣) انظر طريق الهجرتين لابن القيِّم (ص:٢٧٢) .

(٤) المرجع السابق (ص٢٧٢).

(٥) نضرة النعيم ٣٧٨١/٩.

(٦) المرجع السابق ٣٨٧١/٩ .

ثانياً: أقوال السلف في الإساءة.

١-(عن عمرﷺ قال: يا أهلَ مكَّة، اتّقوا الله في حَرَمِكُم هذا، أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنو فلان. فأحلّوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلُّوا حرمتَه فهلكوا، حتَّى عدّ ما شاء الله. ثمّ قال: والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أن أعمل واحدة بمكّة)[١].

٢-عن الحسن البصري -رحمه الله- أنَّه كان يقول: (عملوا لله بالطَّاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردَّ عليهم، إنَّ المؤمن جمع إحسانًا وشفقةً، وإنَّ المنافق جمع إسَاءةً وأَمْنًا) [٢].

٣-قال أبو أيُّوب الأنصاريِّ ﷺ: (إنّ الرَّجلَ ليعملُ الحسنةَ فيتَّكلُ عليها، ويعملُ المحقِّراتِ حتَّى يأتي الله وقد حظر به، وإنَّ الرَّجلَ ليعملُ السَّيِّئةَ فيفرق منها حتّى يأتي الله آمناً)[٣].

٤-قال ابنُ حزم -رحمه الله-: (مَنْ أَسَاءَ إلى أهله وجيرانه فهو أَسْقَطُهم، ومَن كَافَأ مَن أَسَاء إليه منهم، فهو مثلهم، ومَن لم يكافئهم بإساءتهم، فهو سيِّدهم وخيرهم وأفضلهم)[٤].

٥-وقال بعضُ السَّلف: (ما أحسنتُ إلى أحدٍ، وما أسأتُ إلى أحدٍ، وإنَّما أحسنتُ إلى نفسي، وأسأتُ إلى نفسي)[٥].

٦-وقال آخرون: (مَن لم يجدْ للإِسَاءةِ مَضَضًا، لم يكنْ للإحسانِ عنده موقع)[٦].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٥٦٧/٧ .

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ٥٤٥/٢ .

(٣) الزهد لابن المبارك (ص:٥٣).

(٤) رسائل ابن حزم ٣٤٢/١ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٤/٣٠-٣٦٥ .

(٦) التَّذكرة الحمدونيَّة لابن حمدون ٢٧٥/١ .

٦-وورد في الأثر: (مَن أَسَاء سِرًّا، فليتبْ سِرًّا، ومَن أَسَاء علانيةً، فليتب علانيةً، فإنَّ اللهَ يغفرُ ولا يُعَيِّرُ، وإنَّ النَّاسَ يُعَيِّرون ولا يغفرون)[١].

وقد لفت نظري أبياتٌ شعريةٌ في كتاب نضرة النعيم لأحد الشعراء:

"أنا العبدُ الَّذي كسب الذُّنوبا ... وصدَّته الأمـــــاني أن يتوبـــا
أنا العبدُ الَّذي أضحى حزيناً ... على زلّاتـــــه قلقـــــاً كئيبـــا
أنا العبدُ الَّذي سطرت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرَّقيبـــا
أنا العبدُ المسيءُ عصيتُ سرًّا ... فما لي الآن لا أُبدي النَّحيبـا"[٢].

إنَّ المتتبعَ لآثار الإساءة، وأقوال السلف فيها سيجدُ مدى البشاعة التي يتَّصف بها المسيء، فلها في القلب قسوة وظُلمة بدلاً من السرور، وفي الوجه سواداً بدلاً من النور، لذلك ينبغي على المسلم ألَّا يُغرقَ نفسه في الإساءة.

*** ***

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٩ .

(٢) نضرة النعيم ٣٨٦٩/٩ .

المطلب الرابع: أسباب الوقوع في الإساءة والوسائل المعينة على تركها.

أولاً: أسباب الوقوع في الإساءة: وهي كثيرة ومتنوعة اكتفيتُ بذكر ما يلي:

١-**سوءُ الظَّنِّ:** (وقد قسَّم العلماءُ سوءَ الظَّنِّ إلى قسمين كلاهما من الكبائر وهما:

أ- **سوءُ الظَّنِّ بالله:** وهو أبلغ في الذّنب من اليأس والقنوط (وكلاهما كبيرة) وذلك لأنّه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه على الله تعالى أشياء لاتليق بكرمه وجوده.

ب- سوءُ الظَّنِّ بالمسلمين: هو أيضا من الكبائر وذلك أنّ من حكم بشرّ على غيره بمجرّد الظّنّ حمله الشّيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتَّواني في إكرامه وإطالة اللِّسان في عرضه، وكلُّ هذه مهلكات.. وكلُّ من رأيته سيِّىء الظَّنِّ بالنَّاس طالباً لإظهار معايبهم فاعلم أنَّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويَّته؛ فإنَّ المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه)[١].

قال سفيان الثّوريّ: (الظَّنُّ ظنّان: ظنٌّ إثم، وظنٌّ ليس بإثم، فأمَّا الّذي هو إثم: فالّذي يظنّ ظنّا، ويتكلّم به، والَّذي ليس بإثم: فالّذي يظنّ، ولا يتكلّم به...والظَّنُّ في كثيرٍ من الأمور مذمومٌ، ولهذا قال تعالى: **(وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)** [يونس: ٣٦] ، وقال تعالى: **(اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)** [الحجرات: ١٢])[٢] .

وقال ابنُ القيِّم: "وأمَّا المسيء المصرُّ على الكبائر والظُّلم والمخالفات، فإنَّ وحشة المعاصي والظُّلم والحرام تمنعه مِن حُسْن الظَّنِّ بربِّه، وهذا موجودٌ في الشَّاهد، فإنَّ العبد الآبق -الخارج عن طاعة سيِّده- لا يُحْسِن الظَّنَّ به، ولا يجامع وحشة الإِسَاءة إحسان الظَّنِّ أبدًا"[٣].

٢-**اليأس:** قال ابنُ القيِّم-رحمه الله-: "الخوف الموقِع في اليأس: "إساءة أدب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه، وجهلٌ بها"[٤].

وقال ابنُ الجوزيِّ-رحمه الله- : "القطع على أنَّ المطلوبَ لا يتحصَّلُ لتحقُّقِ فواتِه"[٥].

---

(١) الزواجر للهيتمي (١١٤،١٠٩).

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ٣/٥٤٥،٥٤٧.

(٣) الجواب الكافي لابن القيِّم (ص: ٢٥) .

(٤) مدارج السالكين لابن القيِّم ٢/٣٧١ .

(٥) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٦٣٣) .

٣-طول الأمل:

قال عليٌّ ﷺ: (إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتِّباع الهوى وطول الأمل، فأمَّا اتِّباعُ الهوى فيصدُّ عن الحقِّ، وأمَّا طولُ الأملِ فيُنسي الآخرة، ألا وإنَّ الدُّنيا ارتحلت مدبرة)[١]

وعن الحسن البصري -رحمه الله- قال: (ما أطال عبدٌ الأملَ إلَّا أَسَاءَ العملَ)[٢].

ثانياً: الوسائل المعينة على ترك الإساءة:

١-الإحسان: يُعتبر الإحسانُ أعلى مراتب العبادة، وبه يصلُ المسلم إلى درجة التقوى، والإحسان الحقيقي أن تُحسنَ لمن أساء إليك، وليس لمن أحسن إليك، وقد أمرنا الله تعالى أن نقابلَ الإساءة بالإحسان فقال تعالى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ)** [المؤمنون: ٩٦].

(وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النُّبيُّ ﷺ: لا يدخل أحدٌ الجنَّة إلَّا أري مقعده من النَّار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النَّار أحد إلَّا أري مقعده من الجنَّة لو أحسن ليكون عليه حسرة)[٣].

٢-الإستغفار: عن علي ﷺ قال: (ليس الخير أن يَكْثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يَكْثُر علمك، ويَعْظُم حلمك، وأن تباهي النَّاس بعبادة ربِّك، فإن أَحْسَنت حَمَدت الله، وإن أسأت استغفرت الله)[٤].

٣-معرفة أنَّ في ترك الإسَاءة رجاحة النَّفس، وراحة القلب: قال القاضي المهدي: "ولو لم يكن في الصَّفح -وترك الإسَاءة- خَصْلَةٌ تُحمَد إلَّا رجاحة النَّفس ووَدَاع القلب، لكان الواجب على العاقل أن لا يكدِّر وقته بالدُّخول في أخلاق البهائم..." [٥].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم الأصبهاني ٧٦/١ .

(٢) شعب الإيمان ٢٥٥/١٣ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١١٧/٨ ، ح ٦٥٦٩ .

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٧٥/١ .

(٥) صيد الأفكار لحسين المهدي ٥٩٠/١ .

٤-حُسْنُ الظَّنِّ بالله: (عن جابرﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيَّام يقول: «لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسنُ الظَّنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ)[١].

٥-قِصَرُ الأمل: (قال عليٌّ ﷺ: «طُوبى للزَّاهدين في الدُّنيا، والرَّاغبين في الآخرة، أُولئك قومٌ اتَّخذوا أرضَ اللهِ بساطاً، وترابَها فراشاً، وماءها طيباً، والكتابَ شعاراً...) [٢]

٦-عدمُ اليأس: حيث أمرنا اللهُ عزَّ وجلَّ بأن لا نيأسَ من رحمته سبحانه وتعالى، لذلك أخبر القرطبيُّ- رحمه الله – في تفسيره أنَّ إبليس وزنه إفعيل، مشتق من الإبلاس وهو اليأس من رحمة الله تعالى. [٣]

٧-العلمُ بالله تعالى وصفاته: فإنَّ من يعلم أنَّ من صفات الله تعالى (العلم والإحاطة بالشيء ومراقبة الأعمال)،وكان ذلك عقيدةً في قلبه امتنع عن الإساءة وفعل السيئات.

٨-الثواب والعقاب: فقد جعل الله تعالى عقوبةً للمسيئين، وثواباً للطائعين ، والمؤمنُ يرجو ثوابَ الله تعالى ويخشى عقابه .

*** ***

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٠٥، ح ٢٨٧٧ .

(٢) شعب الإيمان ٧/٣٧٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٩٥ .

المبحث الثاني:

عدد مرات ورود الإساءة ومعانيها في السياق القرآني.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عدد ورود الإساءة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني الإساءة في السياق القرآني.

المطلب الأول: عدد ورود الإساءة في القرآن الكريم.

ورد ذكر الإساءة والكلمات المشتقة منها في القرآن الكريم مائة وستاً وستين مرة، في أربعٍ وأربعين سورة منها ثماني وعشرين سورة مكية، وست عشرة سورة مدنية، كذلك فإنَّ عدد مواضع الآيات في السور المكية هو مائة وعشرة موضع بخلاف مواضع الآيات في السور المدنية فهو ستة وخمسون موضعًا، وهي كالتالي:

١- ساء: ثماني عشرة مرة.

٢- ساءت: خمس مرات.

٣- تسؤكم: مرة واحدة.

٤- تسؤهم: مرتين.

٥- سيء: مرتين.

٦- سيئت: مرة واحدة.

٧- أساء: مرتين.

٨- أسأتم: مرة واحدة.

٩- أساءُوا: مرتين.

١٠- السَّوْء: تسع مرات.

١١- السُّوء: أربعاً وأربعين مرة.

١٢- سُوءاً: ست مرات.

١٣- السوأى: مرة واحدة.

١٤- السيء: مرتين.

١٥- سيئاً: مرة واحدة. [١]

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي (ص ٤٥٢-٤٥٣).

١٦-سيِّئه: مرة واحدة.

١٧-السيئة: اثنتين وعشرين مرة.

١٨-السيئات: إحدى وعشرين مرة.

١٩-سيئاتكم: خمس مرات.

٢٠-سيئاتنا: مرة واحدة.

٢١-سيئاته: مرتين.

٢٢-سيئاتهم: سبع مرات.

٢٣-سوءة: مرتين.

٢٤-سوءاتكم: مرة واحدة.

٢٥-سوءاتهما: أربع مرات.

٢٦-أسوأ: مرتين.

٢٧-المسيء: مرة واحدة.[١]

المطلب الثاني: معاني الإساءة في القرآن الكريم.

ورد استعمال (سوأ) في القرآن الكريم على معانٍ عدة، وهي كما يأتي:

١-كلُّ ما يغمُّ الإنسان من الأمور الدُّنيويَّة، والأخروية، و من الأحوال النَّفسيَّة، والبدنيَّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم، و قوله: **(بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)** [طه: ٢٢]، أي: من غير آفة بها، وفسّر بالبرص وكذلك قوله تعالى: **(إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ)** [النحل: ٢٧].

٢-ضد الحسنى، قال تعالى: **(ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى)**[الروم: ١٠]، في مقابل: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى)**[يونس: ٢٦].[٢]

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٤٥٤-٤٥٥).

(٢) أشار إلى هذه المعاني الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٥٨) .

٣-**الفعلة القبيحة:** وهي السيئة ضد الحسنة، ولها أمثلة عديدة منها:

قال تعالى: **(بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً)** [البقرة: ٨١].

وقال تعالى: **(لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَة)** [النمل: ٤٦].

وقال تعالى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ)** [المؤمنون: ٩٦].

وقال تعالى: **(فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا)** [النحل: ٣٤].

٤-**القبيح من العمل،** قال تعالى: **(مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)** [النساء:١٢٣]، وكذلك قوله تعالى: **(زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ)** [التوبة: ٣٧].

٥-**سُوءُ العاقبة،** قال تعالى: **(عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ)** [الفتح: ٦]، و كذا قوله: **(وَساءَتْ مَصِيراً)** [النساء: ٩٧]، **(وساءَتْ مُسْتَقَرًّا)** [الفرقان: ٦٦].

٦-**بمعنى بئس،** قال تعالى: **(فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ)** [الصافات: ١٧٧]، وقال تعالى: **(وساءَ ما يَعْمَلُونَ)** [المائدة: ٦٦].

٧-**ما يبدو على الوجه من ضيق وغم** ، قال تعالى : **(وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ)** [الممتحنة: ٢]، و قوله: **(سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)**[الملك: ٢٧]، وقال: **(سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً)** [هود:٧٧].

٨-**بمعنى الهلاك،** قال تعالى : **(وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)** [الرعد: ٢٥].

٩-**بمعنى الفاحشة** ، قال تعالى : **(قال: كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ)**، [المائدة: ٣١]، وقال تعالى:**(فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي)**[المائدة: ٣١]،وقال تعالى: **(يُوارِي سَوْآتِكُمْ)** [الأعراف: ٢٦] [(١)].

*** ***

(١) أشار إلى هذه المعاني الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٥٨) .

المبحث الثالث:

مشتقات الإساءة ونظائرها.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مشتقات الإساءة.

المطلب الثاني: نظائر الإساءة.

المطلب الأول: مشتقات الإساءة.

١-صيغة الماضي من الفعل الثلاثي مذكراً ومؤنثاً (ساء ، ساءت) ، والماضي الرباعي مفرداً وجمعاً مذكراً ومؤنثاً (أساء ، أسأتُم ، أساءُوا) .

٢-صيغة المضارع (تسؤكم ، تسؤهم) .

٣-صيغة المبني للمجهول في حالتي التذكير والتأنيث (سِيئ ، سِيئت) .

٤-صيغة اسم الفاعل (المُسيء) .

٥-على وزن أفعل التفضيل (أسوأ) .

٦-صيغة المصدر للفعل ساء أو اسماً من الفعل ساء (السُّوء ، سُوءاً ، السَّوء) .

٧-صيغة الاسم الذي يطلق على الفرج والفاحشة والخصلة القبيحة مفرداً ومثنىً وجمعاً (سوءة، سوءاتهما، سوءاتكم) .

٨-تأتي محمولة على جهة النعت خلاف الحسنى (السُّوأى) .

٩-صيغة الاسم من الصفات الغالبة مفرداً ومثنىً وجمعاً (السيئ ، سيئا ، سيئه ، السيئة ، السيئات ، سيئاتكم، سيئاتنا ، سيئاته ، سيئاتهم) .

ويُلاحظ أنَّ استعمال لفظة (سوأ) ومشتقاتها ورد في القرآن المكي أكثر من استعمالها في القرآن المدني؛ حيث وردت في ثماني وعشرين سورة مكية، وست عشرة سورة مدنية، أمَّا من ناحية عدد مرات ورودها باشتقاقاتها المختلفة في السور المكية والمدنية؛ فقد وردت في مائة وعشرة مرة في سور مكية، وستاً وخمسين مرة في سور مدنية، وهذا يُدللُ على كثرة الإساءة التي تعرَّض لها المسلمون خاصةً الرعيل الأوَّل على أيدي أهل مكة؛ وهذه الإساءة كانت باستخدام شتَّى الوسائل للقضاء على الإسلام والمسلمين من قِبل المكيين، خلافاً لما كان عليه المدنيون فقد كانوا أهلَ إيمانٍ وطاعةٍ، ولم تكن عندهم تلك الإساءة للإسلام والمسلمين بذلك القدر عند المكيين، لكنَّه كانت هناك فئة تعيش في المدينة كالمنافقين واليهود الذين كانوا أهل إساءة، ومن هنا يتبين لنا السر في ورود هذه اللفظة في السور المكية بنسبة أكبر تصل إلى الضعف من حيث مواضع الآيات.

المطلب الثاني: نظائر الإساءة في القرآن الكريم.

إنَّ للإساءة نظائر كثيرة وردت في القرآن الكريم، حيث إنَّها جاءت بألفاظ ترادف في معناها الإساءة وتؤدي غرضها، وهذ وقفة مع بعض هذه الألفاظ وأقربها إلى معنى الإساءة:

أولاً: الفساد.

الفساد لغةً: "الفاء والسين والدال كلمةٌ واحدة، فَسَدَ الشَّيءُ يَفْسُد فساداً وفُسوداً، وهو فاسِدٌ وفَسِيد"(١)، والفساد "نقيض الصلاح وفسد الشيء إذا أباره"(٢).

الفساد اصطلاحاً: "خروج الشي ء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، و يضادّه الصّلاح، و يستعمل ذلك في النّفس، و البدن، و الأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فَسَدَ فَسَاداً و فُسُوداً"(٣).

الفرق بين الإساءة والفساد:

"إنَّ الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة"(٤)، ويعتبر الفساد من أشد أنواع الإساءة لما يترتب عليه من أضرار على الفرد والمجتمع ،حيث يشترك الفساد مع الإساءة في أنهما خلقٌ سيءٌ وسلوكٌ لا أخلاقي، "لأنَّ الإساءةَ خلقٌ ذميمٌ، وسلوكٌ مشينٌ وطريقٌ موصّلٌ إلى غضب الله وسخطه"(٥)، كما يشتركان في المعنى أساءه : أفسده(٦)، والفاسدُ "ما أمكن الانتفاع به رغما عن رداءته"(٧)، ونستطيع القول بأنَّ كلَّ فسادٍ إساءةٌ وليس كلُّ إساءةٍ فساداً".

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥٠٣/٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣٣٥/٣ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٨٠/٢ .

(٤) الفروق اللغوية٤٠٥/١.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٨٣٨٣/٩.

(٦) الكليات لأبي البقاء الكفوي ١١٤/١.

(٧) المرجع السابق (٦٩٢).

ثانياً : العدوان.

العدوان لغةً: "العين والدال والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يرجع إليه الفروعَ كلّها، وهو يدلُّ على تجاوُزٍ في الشيء، وتقدُّمٍ لما ينبغي أن يقتصر عليه. والعُدْوان: الظلم الصُّراح"[١].

العدوان اصطلاحاً: وهو تعدي الحد[٢]، وَهُوَ الْإِضْرَارُ بِالْفِعْلِ أَوِ الْقَوْلِ[٣]، "وهو الِاعْتِدَاءُ عَلَى عَلَى الْحَقِّ"[٤]، **والعداوة:** "ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والإنتقام"[٥].

الفرق بين الإساءة والعدوان:

"ترتبط الإساءة بالعدوان ارتباطاً قويَّاً لتقارب المعنى بينهما ،لأنَّ العدوان يعتبر "أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال"[٦]، والعداوة قد تكون في قلب الإنسان من غير أثرٍ لها في الواقع، ويكون صاحبُها موصوفاً بالعداوة، أمَّا الإساءةُ فلا يُقال لمن أضمر الإساءةَ في نفسه مسيئ إلَّا إذا ظهرت آثارها في الواقع .

ثالثاً: الظلم.

الظلم لغةً: "الظاء واللام والميم أصلانِ صحيحانِ، أحدهما خلافُ الضِّياء والنور، والآخَر وَضْع الشَّيءِ غيرَ موضعه تعدِّياً.

فالأوَّل الظُّلْمة، والجمع ظلمات، والظَّلام: اسم الظلمة؛ وقد أظْلَمَ المكان إظلاماً ،والأصل الآخَر ظلَمَه يظلِمُه ظُلْماً، والأصل وضعُ الشَّيْء في غير موضعه"[٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٤٩/٤.

(٢) الكشاف للزمخشري ٢٢٦/٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٩ /١٤٠.

(٤) المرجع السابق ١١٠/٢٠.

(٥) التعريفات للجرجاني ١٩١/١ .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٢٣٨/١ .

(٧) معجم مقاييس اللغة ٤٦٨/٣ .

الظلم اصطلاحاً: "هو وضع الشيء في غير موضعه"[١]، وهُوَ "الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحِقُّ فِعْلُهُ وَلَا تَرْضَى بِهِ النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ وَالشَّرَائِعُ"[٢].

الفرق بين الإساءة والظلم:

"إنَّ أصل الظلم "الجور ومجاوزة الحد"[٣]، وهو "التصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحد"[٤]، الحد"[٤]، والإساءة "اسم للظلم، يقال: أساء إليه إذاً ظلمه"[٥].

يتضح من هذا أنَّ الإساءة والظلم بمعنى واحد، والإساءة جزء من الظلم.

رابعاً : الكفر.

الكفر لغةً: "الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو السَّتْر والتَّغطية"[٦]، والتَّغطية"[٦]، والكُفرُ: نقيض الإيمان. ويقال لأهل دار الحرب: قد كَفَروا، أي: عصوا وامتنعوا. والكُفرُ: نقيض الشكر. كفر النعمة، أي: لم يشكرها. والكُفْرُ كُفْرُ الجحود مع معرفة القلب، وكُفْرُ المعاندة وهو أن يعرف بقلبه، ويأبى بلسانه، وكُفْرُ النفاق وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر، وكُفْرُ الإنكار وهو كفر القلب واللسان[٧].

الكفر اصطلاحاً: اسم يقع على ضروب من الذنوب فمنها الشرك بالله ومنها الجحد للنبوة ومنها استحلال ما حرم الله وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك مما يطول الكلام فيه وأصله التغطية[٨]، "والكفر صنفان:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٧٣/١٢

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٤/٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٣٧٣/١٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ٢٣١/١.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٩٥/١.

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٩١/٥.

(٧) انظر كتاب العين للفراهيدي ٥/ ٣٥٦.

(٨) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٥٤/١.

أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من فروع الإسلام فلا يخرج به عن أصل الإيمان"[١].

الفرق بين الإساءة والكفر:

الكفر: "تغطية ما حقه الإظهار"[٢]، بينما الإساءة منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو هو باطن، ولذلك ليس كلُّ مسيءٍ كافراً، ولكن كلُّ كافرٍ مسيئٌ.

خامساً: الخيانة

الخيانة لغة: "الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقص. يقال خانَه يخُونه خَوْناً. وذلك نُقصانُ الوَفاء. ويقال تخوَّنَني فلانٌ حَقِّي، أي تنقَّصَني"[٣]، وتقول: خانَه الدهر والنعيم خَوْناً وهو تغير حاله إلى شر منها، وخانَني فلانٌ خِيانةً. الخَونُ في النظر فتره، ومن ذلك يقال للأسد: خائِنُ العين. وخائِنةُ العين: ما تخُونُ من مُسارقة النظر أي: تنظر إلى ما لا يحل[٤]. يحل[٤].

الخيانة اصطلاحاً : " مخالفةُ الحقِّ بنقضِ العهدِ في السِرِّ"[٥].

الفرق بين الإساءة والخيانة:

أنَّ الخيانة : "تُقال اعتباراً بالعهد والأمانة"[٦]، لذلك الخائن "الذي ائتمن فأخذ"[٧]، بينما المسيء فهو "الذي يستكبر على عبادة ربه، ويُقدم على المعاصي، ويسعى في سخط الله عزَّ وجلَّ"[٨]، والخلاصةُ أنَّ الخيانة جزءٌ من الإساءة كونُها معصية من المعاصي .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤٤/٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ٢٨٢/١ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢٣١/٢.

(٤) كتاب العين ٣٠٩/٤.

(٥) التعاريف للمناوي ٣٣٠/١.

(٦) الكليات للكفوي ٤٣٤/١.

(٧) الفروق اللغوية لابن هلال العسكري ٢٢٨/١.

(٨) انظر تيسير الكريم الرحمن ٧٤٠/١.

سادساً: الكذب:

الكذب لغةً : "الكاف والذال والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّدق. وتلخيصه أنَّه لا يبلُغ نهايةَ الكلامِ في الصِّدق"(١).

الكذب اصطلاحاً: "هو عدم مطابقة الخبر للواقع"(٢).

الفرق بين الإساءة والكذب:

"فأمَّا الكذبُ هو فعلٌ قبيح يُوقع صاحبَه في الإثم لذلك، يُسمَّى الكذبُ إثماً لكون الكذب من جملة الإثم، وذلك كتسمية الإنسان حيواناً لكونه من جملته"(٣)، وأمَّا الإساءةُ فقد سبق أنَّها تعمُّ المعاصي، والكذب جزء منها، فهو نوع من الإساءة.

سابعاً : النقض .

النقض لغةً: "النون والقاف والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على نَكْثِ شَيء"(٤).

النقض اصطلاحاً: " إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء"(٥).

الفرق بين الإساءة والنقض:

النقض "نقض البناء والحبل والعهد"(٦)، وقيل: "حل أجزاء الشيء بعضها عن بعض"، وقيل: "الفسخ وفك التركيب"(٧)؛ لذلك النقض صفة مذمومة قبيحة فيها إساءة للآخرين لما يترتب عليه من غمٍّ للإنسان في أمور دينه ودنياه، وهي فرع عن الإساءة.

*** ***

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٦٧/٥.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٤٩/١.

(٣) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ٤٧/١.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٧٠/٥.

(٥) لسان العرب ٢٤٢/٧.

(٦) الصحاح في اللغة للجوهري ٢٤٧/٣.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف ٣٢٩/١.

المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي تدلُّ على الإساءة .

المبحث الرابع: أساليب قرآنية تدلُّ على الإساءة .

إنَّ الناظرَ إلى كتابِ اللهِ تعالى سيجدُ العديدَ من الأساليبِ القرآنيةِ التي تدلُّ على الإساءة، وذلك بألفاظٍ عديدة، وسوف نتناول بعضًا من هذه الأساليب من خلال ذكر المعاني والآيات الدالة عليها:

أولاً: السخرية: وفي السخرية خديعةٌ واستنقاصٌ لمن يُسخر به، ولا يكون إلا بذي حياة، ولذلك أسند – سبحانه – السخرية إلى الكفار بالنسبة إلى الانبياء –عليهم السلام– كقوله سبحانه: **(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ)**[هود:٣٨][(١)].

ومنه قوله تعالى: **(وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً)** [الفرقان: ٤١].

ثانياً: التهديد: وهو بمعنى التخويف[(٢)]، ومنه:

أ–التهديد بالسجن: تهديد فرعون لموسى ﷺ: **(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لاَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)** [الشعراء:٢٩].

ب–التهديد بالقتل: تهديد قوم إبراهيم ﷺ له حينما حطَّم أصنامهم: **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)**[الأنبياء:٦٨].

ثالثًا: الإشاعة: "وهي بمعنى الإنتشار"[(٣)]، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)**[النور:١٩]

رابعًا: الاحتقار والإزدراء: "وهما بمعنى البذاء، وهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصّريحة"[(٤)]، ومنه قوله تعالى في شأن قوم نوح ﷺ: **(فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا**

---

(١) انظر الفروق اللغوية ٢٧٥/١ .

(٢) انظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي٧٠٥/١ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص الحنبلي ٣٢٩/١٤ .

(٤) الكليات ٢٤٣/١ .

مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين) [هود:٢٧] ، وكذلك قوله تعالى عندما ردَّ نوح عليه السلام على قومه: **(وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)** [هود:٣١].

خامسًا: الإنكار والعناد: "ومن أشدِّ أنواع الإنكار والعناد هو أن يعرفَ الإنسانُ اللهَ عزَّ وجلَّ بقلبه، ويعترفَ بلسانه، ولا يدين به"(١)، ومثال ذلك إنكار وعناد قوم هود لنبيهم: **(قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ* إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** [هود:٥٣-٥٦] .

وللوقوف على هذه الأساليب القرآنية التي دلَّت على الإساءة فإنَّ جميعَ ما ذُكر بالدليل عبَّر عن وصفٍ من الأوصاف السيئة البذيئة التي نهى عنها القرآن الكريم، وهي أساليبٌ دلَّت في معناها ومضمونها على السيِّئ من الأقوال والأفعال التي تُهلكُ صاحبَها.

*** ***

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣١٥/١ .

الفصل الثاني

مفهوم الإساءة إلى الذات الإلهية وأنواعها.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى الذات الإلهية.

المبحث الثاني: أنواع الإساءة إلى الذات الإلهية.

المبحث الأول

مفهوم الإساءة إلى الذات الإلهية.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الإساءة إلى الذات الإلهية.

المطلب الثاني: أقسام الإساءة إلى الذات الإلهية.

المطلب الأول: تعريف الإساءة إلى الذات الإلهية.

أولاً: الذات لغةً واصطلاحًا:

أ- **الذات لغةً:** "الذات: أصلها في اللغة: مؤنث ذو، بمعنى صاحب وصاحبة، ثم استعملت ذات الشيء بمعنى حقيقته وعينه، ومنه قول ابن عباس ﷺ: "تفكَّرُوا في كُلِّ شيء ولا تفكَّرُوا في ذاتِ الله"(١)، وقال قومٌ من أهل العلم: "ذات الله حقيقته"(٢).

ب-الذات اصطلاحاً: هي عبارة عن نفس الشيء وحقيقته وعينه (٣).

ثانياً: الأُلوهية لغةً واصطلاحاً:

أ-**الأُلوهية لغةً:** "يقال في اللغة: أَلَهَ إلاهةً وألوهةً وألوهيةً: أي عبدَ عبادة، والإله بمعنى مألوه؛ أي معبود"(٤).

ب-الأُلوهية اصطلاحاً: "هي العبادة؛ فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوَكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتُنذر النذورُ ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة إلا له"(٥).

تعريف الذات الإلهية: "هي الذات لا تدركها العقول والأبصار، وهي التي لا توصف إلا بما تصف به نفسها أو بما يصفها به من وكّل إليه شيء من ذلك، وهم الرسل الكرام عليهم

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٦/٢ ، والدر المنثور ١١٠/١ .

(٢) شرح الرسالة التدمرية لمحمد بن عبد الرحمن ١٧١/١

(٣) انظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان بن علي جامي٧١/١ .

(٤) المفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر بن محمد صوفي ٥٩/١.

(٥) عقيدة التوحيد وبيان ما يضاده من الشرك لصالح الفوزان ٣٢/١ .

الصلاة والسلام. قال الله تعالى: **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** [سورة الإسراء:٣٦]، وقال تعالى: **(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**[الأعراف:١٨٠]،وقال تعالىَ: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)** [سورة الشورى:١١]"[(١)].

"**وللوقوف على مفهوم الذات في القرآن الكريم** نجدُ أنَّ القرآن الكريم تحدث عن الذات الإلهية في عديد من الآيات "دون تصريح بلفظ الذات" وكثيراً ما يصدر الحديث باسم "الله" فالله علم على الذات العلية مثل:

- قوله تعالى: **(اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)** [البقرة:٢٥٥] .
- وقوله تعالى: **(اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** [النساء:٨٧] .
- وقوله تعالى: **(اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)** [آل عمران:٢]"[(٢)].

*** ***

المطلب الثاني: أقسام الإساءة إلى الذات الإلهية.

أولاً: إساءةٌ إلى ذاته سبحانه: ويظهرُ ذلك في تعدد الآلهة عند المشركين حيث يُنكرون تفرُّدَ اللهِ –عزَّ وجلَّ – بالأُلوهية والوحدانية، ومن ثمَّ فهم يعبدون أوثاناً وأصناماً زاعمين أنَّها تقربُهم إلى اللهِ وتشفعُ لهم عنده، كما أنَّهم يُعلنون تعجُّبهم من وجودِ إلهٍ واحدٍ تكون له العبادة وحده خالصة، قال – سبحانه وتعالى – حاكياً عنهم قولهم: **(أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)**[ص:٥] ، وقال سبحانه وتعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [يونس: ١٨]، كذلك من الإساءة إلى ذاته سبحانه إثبات الولد لله تعالى عند النصارى، واليهود، وكفرة العرب، كما قال سبحانه: **(وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)** [البقرة:١١٦].

---

(١) أركان الإيمان لعلي بن نايف الشحود ٤٢/١.

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ٨٩/١ .

قال القرطبي في تفسيره: "هذا إخبارٌ عن النصارى في قولهم : المسيح ابن الله، وقيل عن اليهود في قولهم : عزير ابن الله، وقيل عن كفرة العرب في قولهم : الملائكة بنات الله"[١].

ثانياً: إساءةٌ إلى أسمائه: ومثال ذلك الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، وهم ينفون جميع الأسماء والصفات أما في أسماء الله عز وجل، فقد عرف عن الجهم بن صفوان أنه له مسلكان:

الأول: نفيه جميع الأسماء الحسنى عن الله عزَّ وجلَّ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "جهم كان يُنكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً لا حيَّاً ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز.

الثاني: أنَّ اللهَ يسمى باسمين فقط هما "الخالق" و "القادر" [٢].

وقال ابن تيمية أيضاً: "كان الجهم وأمثاله يقولون: إن الله ليس بشيء، وروي عنه أنه قال: لا يسمى باسم يسمى به الخلق، فلم يسمه إلا "بالخالق" و "القادر" لأنه كان جبرياً يرى أن العبد لا قدرة له" [٣].

ثالثاً: إساءةٌ إلى صفاته: ومثال ذلك المعتزلة الذين أساؤوا إلى الله تعالى بنفيهم الصفات.

فالمعتزلة تُجمِع على غاية واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها، ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات، وهما:

الطريق الأول: الذي عليه أغلبيتهم وهو نفيها صراحة فقالوا: إن الله عالم بذاته لا بعلم وهكذا في باقي الصفات، **والطريق الثاني:** الذي عليه بعضهم وهو إثباتها اسما ونفيها فعلا فقالوا: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته وهكذا بقية الصفات، فكان مجتمعا مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات[٤].

"وقد احتجَّ كثيرٌ من المعتزلة بقوله تبارك وتعالى : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) على نفي الصفات ، وعلى كونه القرآن مَخْلُوقاً ، أما نَفْيُ الصِّفَات ، فإنَّهم قالوا : لو كان – تعالى – عالماً بالعلم قادراً بالقُدْرَةِ لكان ذلك العِلْمُ والقدرة إمَّا أن يقال : إنهما قَدِيمانِ أو محدثان ، والأوَّلُ باطل ؛ لأن عموم قوله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨٥/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١١/١٢ .

(٣) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي ١٠١/١ .

(٤) المرجع السابق ١٠٢/١ .

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) يقتضي كونه – تبارك وتعالى – خالقاً لِكُلِّ الأشياء وخَصَّصْنَا هذا العموم بحسب ذاته تعالى ضَرُورة أنه يِمْتَنِعُ أن يكون خالقاً لنفسه ، فيبقى على عمومه فيما عَدَاهُ .
وإن قلنا بحدوث عِلْمِ الله تعالى وقدرته ، فهو بَاطِلٌ بالإجماع ، ولأنه يلزم افْتِقَارُ إيجاد ذلك العمل والقُدْرَةِ إلى سَبْقِ عِلْمِ آخر ، لأن القرآن شيء وكل شيء فهو مَخْلُوقٌ لله – تبارك وتعالى – بِحُكْمِ هذا العموم وأقْصى ما في الباب أن هذا العُمُومَ دَخَلَهُ التَّخْصِيصُ في ذات الله – تبارك وتعالى – إلاَّ أن العام بالدَّلائلِ الدَّالَّةِ على أن كلام الله –تبارك وتعالى– قَدِيمٌ"[1].

*** ***

المبحث الثاني: أنواع الإساءة إلى الذات الإلهية.

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٤٥/٨ .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية بالقول.

المطلب الثاني: الإساءة إلى الذات الإلهية بالفعل.

المطلب الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية بالقول.

وتنقسم إلى قسمين هما:

أولاً: إساءة أهل الكتاب(اليهود والنصارى) إلى الذات الإلهية بالقول:

إنَّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى أساءُوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالعديد من الإساءات التي أوقعتهم في غضب الله تعالى وسخطه عليهم، وأوقعتهم في الضلال والانحراف والكفر والهلاك، وقد كان من هذه الإساءات التي وقعوا فيها الإساءة بالقول، وسوف نتناول بعض الآيات القرآنية التي تُبيِّن هذه الإساءة مع التوضيح:

١- قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)** [المائدة:١٨] .

سبب نزول الآية: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "خَوَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ الْعِقَابَ فَقَالُوا: لَا نَخَافُ فَإِنَّا أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ"(١).

معنى الآية: قوله تعالى: (وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى) قيل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: إنَّ ولدك بكري من الولد، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهّرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي منادٍ: أخرجوا كلَّ مختون من بني إسرائيل(٢).

ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلاً منهما ادَّعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل منهما: **(نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)**، والابنُ في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٦ .

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ٣١٨/٢ .

قال الله: "ردًا عليهم حيث ادَّعَوْا بلا برهان: **(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)** ؟ فلو كنتم أحبابه ما عذَّبكم [لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه].

(بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) تجري عليكم أحكام العدل والفضل **(يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ)** إذا أتوا بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب، **(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)** أي: فأي شيء خصكم بهذه الفضيلة، وأنتم من جملة المماليك ومن جملة من يرجع إلى الله في الدار الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم"[1].

وقيل: "أرادوا أنَّ اللهَ تعالى لنا كالأب في العطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، **وقيل:** إنَّ اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أحباري، فبدَّلُوا يا أبناء أبكاري، فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، **وقيل:** معناه نحن أبناء رسل الله"[2].

٢-قال تعالى: **(وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** [البقرة:١١١] .

سبب نزول الآية: قيل: "نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله ﷺ فكذب بعضهم بعضاً في دعواه قال الله: **(تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ)** أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قُلْ يعني يا محمد **(هاتُوا بُرْهانَكُمْ)** أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا دون غيرهم **(إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)** يعني فيما تدعون"[3].

معنى الآية: "يُبَيِّنُ تَعَالَى اغْتِرَارَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا هُمْ فِيهِ، حَيْثُ ادَّعَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهَا، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، أَنَّهُمْ قَالُوا: **(نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)** [الْمَائِدَةِ: ١٨] فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ. وَلَوْ كَانُوا كَمَا ادَّعَوْا، لَمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَكَمَا تَقَدَّمَ مِنْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٢٧/١ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣٣/٣ .

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٧١/١.

دَعْوَاهُمْ، أَنَّهُ لَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَهَكَذَا قَالَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى التِي ادَّعَوْهَا بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيِّنَةٍ، فَقَالَ: تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ"[١].

وعند الطبري في تفسيره قال: "لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. وأما قوله: **(من كان هوداً)** [البقرة: ١١١] ، والهود جمع هائد، كما جاء عوط جمع عائط، وعوذ جمع عائذ، وحول جمع حائل، فيكون جمعا للمذكر والمؤنث بلفظ واحد؛ والهائد: التائب الراجع إلى الحق"[٢].

٣-قال تعالى: **(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** [البقرة:٨٠].

سبب النزول: "اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا، فَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْيَهُودِ: (مَنْ أَهْلُ النَّارِ). قَالُوا: نَحْنُ، ثُمَّ تَخْلُفُونَا أَنْتُمْ. فَقَالَ: (كَذَبْتُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أنا لا نخلفكم) فنزلت هذه الآية، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالْيَهُودُ تَقُولُ: إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافٍ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ النَّاسُ فِي النَّارِ لِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمٌ وَاحِدٌ فِي النَّارِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ" [٣].

معنى الآية: "أي لن ندخل النار إلا أياماً قلائل، هي مدة عبادة العجل، أو سبعة أيام فقط **(قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ الله عَهْداً)** أي قل لهم يا محمد على سبيل الإنكار والتوبيخ: هل أعطاكم الله الميثاق والعهد بذلك؟ فإذا كان قد وعدكم بذلك **(فَلَنْ يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ)** لأن الله لا يخلف الميعاد **(أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** أي أم تكذبون على الله فتقولون عليه ما لم يقله، فتجمعون بين جريمة التحريف لكلام الله، والكذب والبهتان عليه جلَّ وعلا"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٦/١ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٢٨/٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧٥/٢ .

(٤) صفوة التفاسير للصابوني ٦٣/١ .

ومن معاني هذه الآية: أنَّ اليهود كانوا يقولون: "هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذَّبُ بكلِّ ألف سنةٍ يوماً واحداً ثم ينقطعُ العذابُ بعد سبعةِ أيامٍ، وهم يعنون بذلك أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل، حيث قالت اليهود: إن ربَّنا عتب علينا في أمرنا، فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عزَّ وجلَّ تكذيباً لهم: (**قُلْ**) يا محمد (**أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ**) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، عند الله (عَهْدًا) موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة **(فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ)** ووعده، قال ابن مسعودﷺ: عهداً بالتوحيد، يدلُّ عليه قوله تعالى: **(إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدَاً)** [مريم:٨٧] يعني: قوله لا إله إلا الله (**أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**)"[١].

إنَّ قولهم **(لن تمسنا النار)** "دلَّ على اعتقاد مقرر في نفوسهم يشيعونه بين الناس بألسنتهم قد أنبأ بغرور عظيم من شأنه أن يقدمهم على تلك الجريمة وغيرها؛ إذ هم قد أمنوا من المؤاخذة إلا أيامًا معدودة تعادل أيام عبادة العجل أو أيامًا عن كل ألف سنة من العالم يوم وإن ذلك عذاب مكتوب على جميعهم فهم لا يتوقون الإقدام على المعاصي لأجل ذلك، فبالعطف على أخبارهم حصلت فائدة الإخبار عن عقيدة من ضلالاتهم. ولموقع هذا العطف حصلت فائدة الاستئناف البياني إذ يعجب السامع من جرأتهم على هذا الإجرام"[٢].

إنَّ المتأمِّل في المثالين الثاني والثالث سيجد مدى الإساءة التي وقع فيها أهل الكتاب، وذلك من خلال التألِّي على الله تعالى، والإفتراء عليه سبحانه، وأنهم بتلك المزاعم يسلبون الله حقَّه في محاسبة الناس، ومعاقبة المسيء، وإثابة الطائع، فحكموا في الآية الثانية أنَّ الجنَّة حكرٌ لهم، وقضوا في الثالثة أنَّ النار محرمةٌ عليهم سوى بضعة أيام قلائل، وهذا لا شكٌّ افتراءٌ على الله تعالى، ونسبة أمرٍ له لم ينسبه إلى نفسه، حيث أنَّهم كادوا يجعلون من أنفسهم آلهة يقضون ويحكمون بما يشاءون.

---

(١) معالم التنزيل ١١٦/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٥٧٩/١ .

٤-قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ ...)** [التوبة:٣٠] .

سبب نزول الآية: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَلامُ بْنُ مِشْكَمٍ وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى وَمُحَمَّدُ بْنُ دِحْيَةَ وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ وَمَالِكُ بْنُ ضَيْفٍ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَتَّبِعُكَ وَقَدْ تَرَكْتَ قِبْلَتَنَا وَأَنْتَ لَا تَزْعُمُ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" [١].

معنى الآية: "وهذا إغراءٌ من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى، لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة، والفِرْية على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في العُزَير: (إنه ابن الله)، وأمَّا النصارى فقالوا: (المسيح ابن الله) ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"[٢].

اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْقَائِلِ : (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : "كَانَ ذَلِكَ رَجُلاً وَاحِدًا ، هُوَ فِنْحَاصُ هُوَ الَّذِي قَالَ : **(إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)** [آل عمران :١٨١]، **وَقَالَ آخَرُونَ:** بَلْ كَانَ ذَلِكَ قَوْلَ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ"[٣].

تظهر الإساءة في هذا المثال من خلال نسبة الولد ،أو الإبن إلى الله تعالى، وهذا من أشدِّ أنواع الإساءة التي تُسيء إلى ذات الله تعالى، لأنَّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ لم يلد ولم يولد .

٥-قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)** [المائدة:٦٤] .

سبب نزول الآية: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ﵄، قَوْلُهُ : "**(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)** قَالَ : لَيْسَ يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مُوثَقَةٌ ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ بَخِيلٌ أَمْسَكَ مَا عِنْدَهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا فأنزل الله هذه الآية"[٤] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٨١/٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٤/٤ .

(٣) جامع البيان ٤٠٨/١١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٥٣/٨ .

معنى الآية: "واليد المغلولة: الممسكة المنقبضة، وعن ماذا عَنوا أنها ممسكة، فيه قولان: **أحدهما:** عن العطاء، **والثاني:** ممسكة من عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلّة القسم بقدر عبادتنا العجل.

وفي قوله تعالى: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) ثلاثة أقوال: أحدها: غلت في جهنم، **والثاني:** أُمسكت عن الخير، **والثالث:** جُعِلوا بُخلاء، فهم أبخل قوم"[1].

في هذا المثال يتبيَّنُ لنا الوصف الخبيث الذي قاله اليهود، وهذا ليس بغريب عليهم، فهم دائماً يعملون على نشر الإشاعات بين الناس، وقولهم هذا كان من أسباب لعنة الله تعالى عليهم .

٦-قال تعالى: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)** [المائدة:٧٢] .

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) المسيحيون في هذا العصر فرق ثلاث: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت (أي إصلاح النصرانية) وهذا المذهب الأخير حدث من نحو أربعة قرون وصار هو المذهب السائد في أعظم الأمم مدنية وارتقاء كالولايات المتحدة وانجلترا وألمانيا، وقد أزال هذا المذهب كثيرا من التقاليد والخرافات النصرانية التي كانت قبله واستبدل بها تقاليد أخرى، ومع كل هذا فهؤلاء المصلحون لم يستطيعوا أن يرجعوا المسيحية إلى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح ودين سائر الأنبياء، فلا يزالون يقولون بالتثليث(أي أنَّ الله تعالى ثالث ثلاثة) ويعدون الموحِّد غير مسيحي كما تقول بذلك الفرقتان الكبيرتان الأخريان.

وجميع فرق النصارى في هذا العصر تقول: "إنَّ الله هو المسيح بن مريم وإن المسيح ابن مريم هو الله، ولكن النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة إذ كان بعضهم

---

(١) زاد المسير ٥٦٥/١ .

يفسر الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة والقول بها لا ينافى توحيد الخالق كما أنه يوجد الآن في نصارى أوروبا وغيرهم موحدون يعتقدون أن المسيح نبي ورسول لا إله"[١].

ولذلك لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم الشنيعة، فذكر قول النصارى القول الذي ما قاله أحدٌ غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولدٌ من غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره، خُلِقَت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟

فدلَّ على أن قولَهم اتباعُ هوى من غير برهانٍ ولا شبهةٍ، فرد اللهُ عليهمِ بأدلةٍ عقلية واضحة فقال: **(قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا)**[المائدة:١٧][٢].

"**فالنصارى** –عليهم لعنة الله–من جهلهم ليس لهم ضابطٌ، ولا لكفرهم حدٌ، بل أقوالُهم وضلالُهم منتشرٌ، فمنهم من يعتقده إلهًا، ومنهم من يعتقده شريكاً، ومنهم من يعتقده ولدًا. وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعضُ المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً"[٣].

وقد أخبر الشعراوي في تفسيره عن معنى هذه الآية فقال: "لقد زعموا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم وفي هذا اجتراء على مقام الألوهية المنزهة عن التشبيه وعن الحلول في أي شيء. وفي هذا القول الكريم بلاغ لهؤلاء أن أحداً لا يستطيع أن يمنع إهلاك الله لعيسى وأمه وجميع من في الأرض، فهو الحقُّ الملك الخالق للسموات والأرض، وما بينهما يخلق ما يشاء كما يريد، فإن كان قد خلق المسيح دون أب؛ فقد جاءنا البلاغ من قبل بأنه

---

(١) تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي ٨٢/٦ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢٢٦/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٩/٢ .

سبحانه خلق آدم بدون أب ولا أم، وخلق حواء دون أم، جلت عظمته وقدرته لا يعجزه شيء، وإنَّ عيسى عليه السلام من البشر قابل للفناء ككل البشر"[١].

ووجه كفرهم: "أنَّهم جعلوا المخلوقَ المربوبَ هو الله الخالق الرب لكل شيء، وهو كفرٌ من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصارى فإنهم بانتمائهم إلى النصرانية وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها يؤاخذون به؛ لأن الرضا بالكفر كفر"[٢].

٧-قال تعالى: **(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [المائدة:٧٣] .

"**الذين قالوا أنَّ الله ثالث ثلاثة هم** المرقوسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة؛ لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)؟(المائدة، ١١٦)، ومن قال: **(إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة)** ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإنَّ اللهَ يقول: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)[المجادلة: ٧]، وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)** [٣].

ثمَّ قال ردَّاً عليهم: **(وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** خصَّ الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون"[٤].

وجاء في معنى هذه الآية:

١- "أنَّ الذين قالوا هذا القول هم اليعقوبية فردَّ اللهُ ذلك بحجةٍ قاطعةٍ مما يُقرُّون به؛ فقال: **(وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)** أي إذا كان المسيح يقول: يا رب ويا الله فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها ؟ هذا محال **(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ)** قيل:

---

(١) تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي ٣٠٣٤/٥

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٦١٢/١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٦٦/٦، ح٤٦٦٣ .

(٤) معالم التنزيل ٨٢/٣ .

هو من قول عيسى. وقيل: ابتداء كلام من الله تعالى. والإشراك أن يعتقد معه موجدا"[1].

٢- "أنَّ النَّصَارَى كانوا يَقُولُونَ بِالثَّلَاثَةِ، كَانُوا يَقُولُونَ: ابْن، وأب، وروح الْقُدس، وَهَذَا معنى قَوْله - تَعَالَى -: **(لقد كفر الَّذين قَالُوا إِن الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ)**"[2].

٣-"لما وُلد عيسى ﷺ لم يبق صنمٌ إلا خرَّ لوجهه فاجتمعت الشياطين إلى إبليس فأخبروه فذهب فطاف أقطار الأرض ثم رجع فقال هذا المولود الذي ولد من غير ذكر أردت أن أنظر إليه فوجدت الملائكة قد حفت بأمه، فليتخلف عندي اثنان من مردتكم فلما أصبح خرج بهما في صورة الرجال فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى ويقولون مولود من غير أب، فقال إبليس ما هذا ببشر ولكن الله أحب أن يتمثل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه ما أعظم ما قلت ولكن الله أحب أن يتخذ ولدا وقال الثالث ما أعظم ما قلت ولكن الله أراد أن يجعل إلها في الأرض، فألقوا هذا الكلام على ألسنة الناس ثم تفرقوا فتكلم به الناس"[3].

وهذه الآية تتعلق بمسألة مهمة جداً لا بُدَّ من طرحها وهي:

لفظ «المُشْرِك»؛ هل يتناول أهل الكتاب؟

"فالأكثرون يقولون إنَّ الكتابة تشمل لفظ المشرك، ويدلُّ عليه وجوه:

أحدها: قوله تعالى: **(وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله وَقَالَتْ النصارى المسيح ابن الله)** [التوبة: ٣٠]، ثم قال بعد ذلك: **(سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [التوبة:٣١] وهذا تصريحٌ بأنَّ اليهوديَّ، والنَّصرانيَّ مشركٌ.

وثانيها: قوله تعالى: **(إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ)** [النساء: ٤٨] ، فدلت هذه الآية على أنَّ ما سوى الشّرك فقد يغفره الله تعالى في الجملة، فلو كان كفر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٦ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٥٠٦/١ .

(٣) زاد المسير ٤٠٢/٢ .

اليهوديِّ والنَّصرانيّ ليس بشرك، لوجب أن يغفره الله تعالى في الجملة، وذلك باطلٌ، فعلمنا أنَّ كفرهما شركٌ.

وثالثها: قوله تعالى: **(لَّقَدْ كَفَرَ الذينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ)** [المائدة: ٧٣]"[١].

ولي وقفة مع قول الذين كفروا أنَّ الله عزَّ وجلَّ ثالث ثلاثة:

"وهذا يُسمَّى بالتثليث وهو إمَّا أن يكون تثليثاً في الصفات، وهو باطلٌ؛ لأنَّ ذلك هو الحق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يمكنُ جعله سبباً للكفر، وإمَّا أن يكون تثليثاً في الذَّوات، وذلك هو الشرك، فثبت أن الذميَّ مشركٌ، والمشرك يجب قتاله؛ لقوله تعالى: **(وَقَاتِلُواْ المشركين)** [التوبة: ٣٦]" [٢].

٨-قال تعالى: **(لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ)** [آل عمران:١٨١].

سبب نزول الآية: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ بَيْتَ الْمدارِسِ فَوَجَدَ مِنْ يَهُودَ أُنَاسًا كَثِيرًا قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: فَنْحَاصُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ وَمَعَهُ حَبْرٌ يُقَالُ لَهُ أُشْيَعُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: وَيْحَكَ يَا فَنْحَاصُ، اتَّقِ اللَّهَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فَقَالَ فَنْحَاصُ: وَاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بِنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَنِ الرِّبَا وَيُعْطِينَا، وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا عَنَّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَضَرَبَ وَجْهَ فَنْحَاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مِنَ الْعَهْدِ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ. فَأَكْذِبُونَا مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَذَهَبَ فَنْحَاصُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَبْصِرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَأَنَّهُمْ عَنْهُ أَغْنِيَاءُ، فَلَمَّا قَالَ ذَاكَ غَضِبْتُ لِلَّهِ مِمَّا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٢/٤ .

(٢) المرجع السابق ٢٧٥/١٢ .

قَالَ، فَضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَجَحَدَ ذَلِكَ فَنْحَاصُ وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا قَالَ فَنْحَاصُ رَدًّا عَلَيْهِ وَتَصْدِيقًا لِأَبِي بَكْرٍ: **(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)**"[1] .

معنى الآية: "ذكر تعالى قبيح قول الكفار ولا سيما اليهود، **وقال أهل التفسير** : لما أنزل الله **(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً)** [البقرة : ٢٤٥] قال قومٌ من اليهود: إن الله فقير ونحن أغنياء يقترض منا. وإنما قالوا هذا تمويها على ضعفائهم ، لا أنهم يعتقدون هذا ؛ لأنهم أهل كتاب. ولكنهم كفروا بهذا القول؛ لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين ، وتكذيب النبي ﷺ. أي إنه فقير على قول محمد ﷺ؛ لأنه اقترض منَّا **(سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا)** سنجازيهم عليه، وقيل : سنكتبه في صحائف أعمالهم ، أي نأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرؤوه يوم القيامة في كتبهم التي يؤتونها ؛ حتى يكون أوكد للحجة عليهم"[2].

٩-قال تعالى: **(... وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)** [التوبة:٣٠] .

معنى الآية: "هذا الإدَّعاء فيه مساس بجلال الله تعالى، فالإنسان يتخذ ولداً لعدة أسباب؛ إمَّا لأنه يريد أن يبقى ذِكْره في الدنيا بعد أن يرحل، والله سبحانه دائم الوجود؛ وإمَّا لكي يعينه ابنه عندما يكبر ويضعف، والله سبحانه وتعالى دائم القوة؛ وإمَّا ليرث ماله وما يملك، والله تبارك وتعالى يرث الأرض ومن عليها. وإمَّا ليكون عزوةً له، والله جل جلاله عزيز دائماً. وهكذا تنتفي كل الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الادعاء. ولا يعقل أن يرسل الله سبحانه رسولاً ليبين للناس منهج الحق فإذا به يقول للناس: إنَّه ابن الله. إذن فهم لم يؤمنوا الإيمان الكامل بالله"[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٢٨/٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/٤ .

(٣) تفسير الشعراوي ٥٠٣٢/٨ .

"الذين نسبوا الولد لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ثلاثة أصناف من الناس: اليهود، والنصارى، قال تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ...)**[التوبة: ٣٠]. والصنف الثالث مشركو العرب، كما قال تعالى عنهم: **(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ)**" [النحل:٥٧] [(١)].

قال قتادة والسدي: "ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالوا: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود: عزير ابن الله. وقال مجاهد: يضاهئون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله. وقال الحسن: شبّه كفرَهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال في مشركي العرب: **(كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)**" [البقرة :١٨٨]" [(٢)].

وزعم النصارى – أعداء الله – أن المسيح ابن الله قالوا: "لأنَّ عيسى وُلِدَ بدون أب، ولا يمكن أن يكون وَلدٌ بدون أب، فلا بد أن يكون ابن الله، قال تعالى رداً عليهم (ذلك قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ) أي ذلك القول الشنيع هو مجرد دعوى باللسان من غير دليل ولا برهان يتضمن معنيين: أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني أنهم لا حجة لهم في ذلك، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك **(يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ)** أي يشابهون بهذا القول الشنيع قول المشركين قبلهم: الملائكة بنات الله **(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)** [البقرة: ١١٨] **(قَاتَلَهُمُ الله أنى يُؤْفَكُونَ)** دعاء عليهم بالهلاك أي أهلكهم الله كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولداً"[(٣)].

فهذه وقفات من خلال آيات القرآن الكريم ظهر فيها مدى الإساءة التي وقعت من أهل الكتاب للذات الإلهية .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ١٦/١٩ .

(٢) معالم التنزيل ٣٨/٤ .

(٣) صفوة التفاسير ٤٩٣/١ .

ثانياً: إساءةُ المشركين إلى الذات الإلهية بالقول:

إنَّ المشركين من العرب كانت لهم العديد من الإساءات القولية والفعلية، فلم يكتفوا بالإساءة إلى الدين الإسلامي، أو إلى النبي ﷺ بل تطاول بهم الأمر أنَّهم أساءُوا إلى الله تعالى وذلك من خلال قولهم أنَّ الملائكة بناتُ الله تعالى، وسوف نتناول أربع آيات على ذلك:

١- قال تعالى: **(وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ)** [النحل: ٥٧] .

معنى الآية: "نزلت في خزاعة وكنانة؛ فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله ، فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات، **(سُبْحَانَهُ)** نزه نفسه وعظمها عما نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد. **(وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)** أي يجعلون لأنفسهم البنين ويأنفون من البنات"(١).

وفي معنى هذه الآية قال ابن كثير (رحمه الله): "أخبر تعالى عنهم أنَّهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطأوا خطأً كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أن له ولداً، ولا ولد له! ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال:**(أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى تِلْكَ*إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) [النجم : ٢١، ٢٢]** وقال هاهنا: **(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ)** أي: **عن قولهم وإفكهم (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ*وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون* أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون)**" [الصافات : ١٥١ -١٥٤]"(٢).

٢- قال تعالى: **(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً)** [الإسراء:٤٠].

معنى الآية: (قوله تعالى: **(أفأصفاكم ربكم بالبنين)** "نزلت في مشركي العرب الذين قالوا الملائكة بنات الرحمن"(٣)، وهذه الآية خطاب للقائلين بأنَّ الملائكةَ بناتُ الله سبحانه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١٦/١٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٧٧/٤.

(٣) زاد المسير ٣٧/٥.

والإصفاءُ بالشيء جعلُه خالصاً والهمزةُ للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسرّه المذكورُ أي أفَضَّلكم على جنابه فخصّكم بأفضل الأولاد على وجه الخُلوص وآثرَ لذاته أخسَّها وأدناها كما في قوله سبحانه: **(أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ الانثى)**، وقوله تعالى: **(أَمْ لَهُ البنات وَلَكُمُ البنون)** وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديدُ النكير وتأكيدُه وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيرادِ الإناث مكانَ البنات إلى كفْرة لهم أخرى وهي وصفُهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التي هي أخسُّ صفات الحيوان كقوله تعالى: **(وجعلوا الملائكة الذين هُمْ عِبَادُ الرحمن إناثاً)** **(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ)** بمقتضى مذهبِكم الباطلِ الذي هو إضافةُ الولدِ إليه سبحانه {قَوْلاً عَظِيمًا} لا يقادَر قدرُه في استتباعِ الإثمِ وخَرْقِه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه أحدٌ حيث يجعلونه تعالى من قبيل الأجسامِ المتجانسةِ السريعةِ الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهارُ الباقي بذاته ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولادِ وتفضِّلون عليه أنفسَكم بالبنين ثم تصِفون الملائكةَ الذين هم من أشرف الخلائقِ بالأنوثة التي هي أخسُّ أوصاف الحيوان)[1].

ويُلاحظ: "أنَّ القسم الذي ادَّعى أن لله البنين فهم أهل الكتاب؛ إنهم قالوا ذلك: **(وَقَالَتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارى المَسيحُ ابنُ اللهِ)** [التوبة: ٣٠] .

وأنَّ من جعلوا لله البنات، فهم بعض العرب الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله **(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بالبنين واتخذ مِنَ المَلائكةِ إِنَاثاً)** [الإسراء: ٤٠]، وقال سبحانه: **(أَصْطَفَى البنات على البنين مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)**" [الصافات: ١٥٣ – ١٥٤][2].

٣–قال تعالى: **(وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)** [الزخرف:١٩] .

معنى الآية: يُخبرُ تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفوا أحد،

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم ١٧٣/٥ .

(٢) تفسير الشعراوي ٣٨٣٣/٦ .

وإنَّ ذلك باطلٌ من عدة أوجه:

منها: أنَّ الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أنَّ الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ومنها: أنَّهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذاً يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

ومنها: أنَّ الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك **(إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا)** من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أنَّ الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: **(أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ)** أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ **(وَهُوَ فِي الْخِصَامِ)** أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، **(غَيْرُ مُبِينٍ)** أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنَّهم جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

ومنها: أنَّ الله ردَّ عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها[1].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ٧٦٣/١ .

٤-قال تعالى: **(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)** [الطور:٣٩] .

معنى الآية: قال الله عزَّ وجلَّ منكراً على مشركي مكة فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِّر أحدُهم بالأُنثى ظلَّ وجهه مُسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله تعالى، فقال: **(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)** وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد[١].

"كذلك هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: **(فاستفتهم ألربِّكَ البناتُ ولهم البنون)**[الصافات:١٤٩]"[٢]، وفي هذه الآية "إيماء إلى أن من كان هذا رأيه لا يعدُّ من العقلاء فضلاً عن الترقِّي إلى عالم الملكوت، وسماع كلام رب العزة والجبروت"[٣].

٥- سبُّ الله تعالى:

قال تعالى: **(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)** [الأنعام:١٠٨].

سبب نزول الآية: (كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ، فَيَسُبُّ الْكُفَّارُ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [٤].

معنى الآية: "ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً، بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثاناً وآلهةً مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبِّها، ولكن لما كان هذا السبُّ طريقاً إلى سبِّ المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح -نهى الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له، لأنَّ كلَّ أمةٍ زيَّن اللهُ لهم عملَهم، فرأوه حسناً، وذبوا عنه، ودافعوا بكل

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٣٧/٧ .

(٢) معالم التنزيل ٣٩٣/٧ .

(٣) تفسير المراغي ٣٥/٢٧ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨٢/٩ .

طريق، حتى إنَّهم، ليسبُّون اللهَ ربَّ العالمين، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم"[١].

وقد ذكر الشعراوي في تفسيره كلاماً جميلاً فقال:

"لقد قال الحكماء: النصح ثقيل فلا نرسله جبلاً ولا تجعله جدلاً، والحقائق مُرّة، فاستعيروا لها خفة البيان. والخفة في النصح تؤلف قلب المنصوح، وحسبك منه أن تخلعه عما ألف وأحبّ. إلى ما لم يتعود، فلا يكون خلعه مما ألف بأسلوب عنيف. ولذلك يعلمنا الحق هذه القضية حين ندعو الخصوم إلى الإيمان به، وهؤلاء الخصوم يتخذون من دون الله أنداداً؛ أي جعلوا لله ومعه شركاء"[٢].

*** ***

المطلب الثاني: الإساءة إلى الذات الإلهية بالفعل.

تعددت أساليب الإساءة الفعلية إلى الذات الإلهية من خلال الأفعال والأعمال المسيئة إلى الله عزّ وجلَّ والتي ذكرها القرآن الكريم في العديد من الآيات، **وسوف نتناول بعض الإساءات الفعلية بالدليل القرآني مع التوضيح:**

أولاً: عبادةُ الأصنام:

قال تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [يونس:١٨] .

معنى الآية: أي يعبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا تضرهم إن عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم إن عبدوها لأنها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وإن العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق إلا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الأصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ يعني الأصنام التي يعبدونها **(شُفَعَاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ)** قال أهل المعاني:

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٦٨/١ .

(٢) تفسير للشعراوي ٣٨٥٧/٦ .

توهموا أن عبادتها أشد من تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام فإنها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى إخباراً عنهم: **(ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى)** [الزمر:٣]، **وفي هذه الشفاعة قولان:**

أحدهما: أنَّهم يزعمون أنَّها تشفع لهم في الآخرة .

والثاني: أنَّها تشفع لهم في الدنيا في إصلاح معايشهم، لأنَّهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قُلْ أي قل لهم يا محمد أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ يعني: أتُخبرون الله أن له شريكاً ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض[1].

ثانياً: اتخاذ الشركاء مع الله تعالى:

قال تعالى: **(وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)**[الأنعام:١٠٠]

معنى الآية: هذا ردٌّ على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل: فكيف عُبدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام؟ فالجواب: أنَّهم إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، كما قال تعالى: **(إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا)** [النساء: ١١٧ –١٢٠]، وقال تعالى: **(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي [وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا)** [الكهف: ٥٠]، وقال إبراهيم لأبيه: **(يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) [مريم: ٤٤]**، وقال تعالى: **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)**[يس: ٦٠، ٦١]،

(١) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل ٤٣٤/٢.

وتقول الملائكة يوم القيامة: **(سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)** [سبأ: ٤١]، ولهذا قال تعالى: **(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ)** أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره، كما قال إبراهيم عليه السلام: **(أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ*وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** [الصافات: ٩٥، ٩٦][(١)].

ثالثاً: الذبحُ لغير الله تعالى:

قال تعالى: **(... وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...)** المائدة:٣].

معنى الآية: (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النصب) أي: وما ذُبح على الأحجار المنصوبة، والنُّصبُ حجارةٌ كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك[(٢)]، وكذلك النُّصُب هي الصَّنَم كَانَتْ الْجَاهِلِيَّة تَنْصِبُهُ وَتَذْبَحُ عِنْده، فَيَحْمَرُّ بِالدَّمِ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: **(وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُب)** [(٣)].

ومن الآيات التي ذكرت جريمة من جرائم المشركين وهي الذبح لغير الله تعالى:

قوله تعالى: **(وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)** [الأنعام:١٢١] .

حيث جاء في سبب نزولها: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلَا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) [الأنعام: ١٢١]) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ" [(٤)] .

معنى الآية: أي: "ما لم يذكَّ ولم يذبح أو ذُبح بغير اسم الله " وإنه لفسق " يعني أكله معصية واستحلاله كفر " وإنَّ الشياطين ليُوحون إلى أوليائهم " يعني يوسوسون إلى أوليائهم

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٣ .

(٢) انظر صفوة التفاسير ٣٠١/١ .

(٣) انظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٥٣/١٦ .

(٤) رواه أبو داود في سننه ١٠١/٣، ح٢٨١٩، وصححه الألباني، لكن ذكر اليهود فيه منكر والمحفوظ أنهم المشركون.

من المشركين " ليجادلوكم " يقول ليخاصموكم في أكل الميتة وهو قولهم ما قتله الله فهو أولى أن يُؤكل، **ويُقال الوحي على ثلاثة أوجه:** الإشارة والإلهام والوسوسة"[١].

رابعاً: الإستقسام بالأزلام:

قال تعالى: (...**وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ**...) [المائدة:٣] .

معنى الآية: (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بالأزلام) أي: "محاولة معرفة ما قُسِّم وقُدِّر في الأمر من الخير أو الشر بالأزلام ، جمع زلم بفتحتين ، وهو السهم قبل أن يتصل ويراش ، وهي سهام ثلاثة ، كتب على أحدها أمرني ربي ، وعلى الثاني نهاني ربي ، ولم يكتب على الثالث شيء ، فإذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً أو تجارةً أو نكاحاً أو غير ذلك يعمد إلى هذه السهام ، وكانت موضوعة في حقيبة حول الكعبة ، فيخرج منها واحداً فإن خرج الآمر مضى لحاجته ، وإن خرج الناهي أمسك ، وإن خرج الغافل أعاد التناول"[٢].

خامساً: الإعتداء على حق التشريع:

قال تعالى: **(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)** [الأنعام:١٣٦].

معنى الآية: "كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبا، وللأوثان نصيبا فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله، فذلك قوله تعالى **(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ)** خلق **(مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا)**"[٣].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٤٩٧/١ .

(٢) تفسير آيات أحكام لمحمد علي سايس ١٠٤/٧ .

(٣) معالم التنزيل ١٩٢/٣ .

سادساً: كفران النعمة:

أ–قال تعالى: **(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)** [النحل: ١١٢].

معنى الآية: "وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم"(١).

ولي وقفة مع هذا التعبير القرآني: "**(فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجُوعِ والخَوفِ)** فقد جاء التعبير بالإذاقة، وجاء بشيء لا يذاق وهو اللباس، وهل اللباس يذاق؟ لا، لكنه سبحانه يريد أن يُنبِّه الإنسان إلى أن كل الحواس التي فيه تحس، حتى تلك الحاسة المختفية داخل النفس، إنّ ذلك يَشمل كل جزء في الإنسان.

فالإذاقة تحيط بالإنسان في هذا التصوير البياني القرآني الكريم: **(فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجُوعِ والخَوفِ)**، إذن فهي شدة وقع الإيلام؛ واستيعاب العذاب المؤلم لكل أجزاء الجسم حتى صار الذوق في كل مكان"(٢).

ب–قال تعالى: **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً* لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً*)** [الكهف: ٣٤–٣٨] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٥١/١ .

(٢) تفسير الشعراوي ١٩١٢/٣ .

معنى الآيات: هذه الآيات تتحدَّث عن رجل أطلق عليه القرآن الكريم صاحب الجنتين هذا الرجل الذي أنعم الله تعالى عليه بنعمٍ كثيرة كان الأولى أن يشكر الله عزَّ وجلَّ على هذه النعم عندما ذكَّره صاحبه بأن ينسب الفضل لله تعالى لكنَّه أبى وأشرك بالله تعالى وكفر بنعمة الله تعالى فكانت العاقبة أن حُرم هذه النعم، لأنَّ كفران النعمة سببٌ في حرمانها، ولذلك ضرب الله عزَّ وجلَّ هذا المثل ليكون عبرةً لكلِّ من جحد بنعمة الله تعالى.

فقوله تعالى: **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)** أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد **(قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا)**، وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة؛ ولهذا قال: **(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً)** أي: كائنة **(وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)** أي: ولئن كان معاد ورجعة وَمَرَدٌّ إلى الله تعالى، ليكونَنّ لي هناك أحسن من هذا لأني مُحظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: **(وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى)** [فصلت:٥٠]، وقال **(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا)** [مريم:٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألَّى على الله، عزَّ وجلَّ .

ثُمَّ يُخبر الله عزَّ وجلَّ عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظًا له وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والإغترار: **(أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا)** ؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: **(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)** [البقرة:٢٨٠] أي: كيف تجحَدُون ربكم، ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدومًا ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندًا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء؛ ولذا قال: **(لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي)**

أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية **(وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا)** أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له[1].

سابعاً: الإفتراء على الله تعالى:

قال تعالى: **(وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** [الأعراف: ٢٨] .

سبب نزول الآية: "كَانَ الْمُشْرِكُونَ الرِّجَالُ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ بِالنَّهَارِ عُرَاةً، وَالنِّسَاءُ بِاللَّيْلِ عُرَاةً، وَيَقُولُونَ: إِنَّا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ وَأَخْلاقُهُ الْكَرِيمَةُ نُهُوا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ"[2] .

والفاحشة هنا في قول كثيرٍ من المفسرين طوافهم بالبيت عراة، وقيل: هي الشرك والكفر.

واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأنَّ اللهَ أمرهم بها[3].

*** ***

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٥٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٦١/٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٧ .

الفصل الثاني: مفهوم الإساءة إلى الكتب السماوية .

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى القرآن الكريم .

المبحث الثاني: مفهوم الإساءة إلى التوراة والإنجيل .

المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى القرآن الكريم.

أنعم اللهُ عزَّ وجلَّ على الأمَّة العربية والإسلامية بنعمٍ كثيرة، ومن أجلِّ هذه النعم القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ؛ ليُخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإسلام ، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الغفلة إلى الذكر، فكان بمثابة الحياة التي كانت سبباً في إنقاذ الناس من ظلمة المعصية وسوادها إلى نور الهداية والطاعة، لذلك جعله الله عزَّ وجلَّ منهجاً لحياة المسلمين إلى يوم الدين، لكنَّه لم يسلم من الإساءات والإفتراءات التي حاولت كثيراً الطعن فيه، وسوف نتناول العديد من صُور الإساءة إلى القرآن الكريم بالدليل القرآني مع التوضيح:

أ-استبدال القرآن الكريم بمتاع الدنيا:

قال تعالى: **(اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)** [التوبة:٩] .

معنى الآية: أَيْ: "إِنَّهُمُ اسْتَبْدَلُوا بِآيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ تَوْحِيدِهِ بِالْعِبَادَةِ ، وَعَلَى بَعْثِهِ لِلنَّاسِ ، وَجَزَائِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَعَلَى الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْهِدَايَةِ ، ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ ، وَكَثِيرُهُ عِنْدَ كُبَرَائِهِمْ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ أُمَمِ الْحَضَارَةِ ، وَمَا عِنْدَ أَغْنَى هَؤُلَاءِ قَلِيلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ لَهُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (١).

(١) تفسير المنار ١٠/١٦٨ ، وقد ذكر المفسِّرُ رأياً آخرة وهو أنَّ الْمُرَادَ بِآيَاتِ اللهِ تَعَالَى الْعُهُودُ وَالْأَيْمَانُ، ثمَّ قَال:" والأَوَّلُ هُوَ الظَّاهرُ وهُوَ المناسبُ لما بعْدَه .

ومن خلال العديد من التفاسير الخاصة بهذه الآية يتبيَّن ما يلي:

١-أن المشركين باعوا الإيمان بالكفر فصدُّوا أنفسهم كما صدُّوا غيرهم من أتباعهم عن الإسلام الذي هو منهج حياتهم وطريق سعادتهم وكمالهم، فلذا قال تعالى مُقبحاً سلوكهم أنَّ **(إنَّهم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُون)**[١].

٢-أنَّ كلَّ من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، فهو يطمس حكماً من أحكام الله عزَّ وجلَّ من أجل أن يتظاهر أمام الناس أنه عصري، أو أنه مساير لروح الزمان، أو يزين لأولياء الأمر فعلا من الأفعال لا يرضى عنه الله تعالى[٢].

٣-أن المشركين كتموا صفة رسول الله ﷺ في كتابهم بشيء من المآكلة، يأخذونه من السفلة "إنَّهُمْ ساءَ مَا كانُوا يعملون"، ويَعْمَلُونَ، يعني: بئسما كانوا يعملون بصدهم الناس عن دين الله تعالى[٣].

٤-"أنَّه تضمَّن أنَّهم لم يهتدوا بآيات الله ونبذوها على علم بصحّتها كقوله تعالى : **(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخذَ إِلَهَه هَواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على علمٍ)**" [الجاثية:٢٣][٤].

٥-"أنَّ المشركين كانوا سبباً في منع الناس من الدخول في الإسلام"[٥].

ب- تكذيب كفار مكة لما أنزل الله تعالى:

قال تعالى: **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)** [المطففين:١٥] .

سبب النزول: "كان النَّضرُ بن الْحَارِثِ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وكان يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ينصِبُ لَهُ العداوَة ،فَكَانَ رَسُولُ اللَّهﷺ إذا جلسَ مجلسًا فذكَّرَ بِاللَّهِ ، وَحَدَّثَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، فَهَلُمُّوا ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ، ثُمَّ يَقُولُ : مَا مُحَمَّدٌ

(١) انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٣٤٣/٢ .

(٢) انظر تفسير الشعراوي ١٥٥٣/٣ .

(٣) انظر تفسير السمرقندي ٤١/٢ .

(٤) التحرير والتنوير ١٢٨/١٠ .

(٥) معالم التنزيل ١٦/٤ .

أَحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّضْرِ ثَمَانِيَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ : **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)** ، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ الأَسَاطِيرُ فِي الْقُرْآنِ" [١].

معنى الآية: "قوله: **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)** أي: إذا سمع كلام الله من الرسول، يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)** [النحل: ٢٤]، وقال: **(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا)** [الفرقان: ٥]، قال اللهُ تعالى: **(كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّيْن الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالى: **(كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**"[٢] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** [المطففين: ١٤]"[٣] .

قال الحسن البصري عن الران: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، فيموت[٤].

ج- حثُّ كفار مكة الناس على عدم الإستماع للقرآن الكريم:

قال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)**[فصلت:٢٦].

معنى الآية: إنَّ أبا جهل وأصحابه كانوا إذ تلى محمدٌ ﷺ القرآن يقولون: ارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام في وجوههم حتى تلبسوا عليهم فذلك قوله " والغوا فيه " يعني الغطوا فيه واللغط هو الشغب والجلبة " لعلكم تغلبون " يعني تغلبوهم ويسكتون[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٧/٤٠٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٣٥٠ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ١٣/٣٣٣ ، ح٧٩٥٢، وحسنَّه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/١٢٢، ح ٣١٤١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٢٠١ .

(٥) انظر بحر العلوم ٣/٢١٤ .

وقد ورد أنَّ المكذبين من كفار مكة كانت لهم طريقة خاصة للإعراض عن القرآن الكريم وسماعه، فقد كان بعضهم يُوصي البعض الآخر، وهذا هو قوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)**.

د- الإستهزاء والسخرية بالقرآن الكريم:

قال تعالى: **(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ*)** [الجاثية: ٧-٩] .

معنى الآية: "أي: أفَّاك في قوله كذاب، حلافٌ مهينٌ أثيمٌ في فعله وقيله كافرٌ بآيات الله؛ ولهذا قال: **(يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ)** أي: تقرأ عليه **(ثُمَّ يُصِرُّ)** أي: على كفره وجحوده استكبارًا وعنادا **(كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا)** أي: كأنه ما سمعها، **(فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** أي: فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذابا أليما موجعاً.

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أي: إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخرياً وهزواً، **(**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**)** أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ **ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: (نهى رسولُ اللهِ ﷺ أن يسافرَ بالقرآنِ إلى أرضِ العدُّو مخافةَ أن ينالَه العدو)**"[(١)][(٢)].

"وقد ورد أنَّ النضر بن الحارث كان يشتري أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، والآيةُ عامةٌ في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة **(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتخذها هُزُواً)** أي إذا بلغه شيء من الآيات التي أنزلها الله على محمد، سخر واستهزأ بها **(**أولئك لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**)** أي أولئك الأفاكون المستهزءون بالقرآن لهم عذاب شديد مع الذل والإهانة"[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١٤٩١/٣، ح ١٨٦٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٧ .

(٣) صفوة التفاسير ١٦٩/٣ .

وكان يقول: "أنا أُعارض القرآن، وحفظوا له أقوالاً، وذلك على سبيل الإستهزاء، وقد رووا أنّ أحداً من المشركين قال: إنَّما هو قول شاعر وإنِّي سأنزل مثله ؛ وكان هذا قد تكرَّر من المشركين كما أشار إليه القرآن الكريم"(١).

كذلك فقد اتَّخذ المشركون القرآن الكريم مصدراً للضحك والمزاح، قال تعالى: **(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً)** [النساء :١٤٠].

معنى الآية: "(الخطاب في قوله: "**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ..)** عامٌ لجميع من أظهر الإيمان من محقّ ومنافق لأنه إذا أظهر الإيمان، فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله، وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن.

ودلَّ قوله تعالى: **(فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)** – أي غير الكفر– "إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ" على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل: "إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ" فكل من جلس في مجلس معصية، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم، حتى لا يكون من أهل هذه الآية"(٢).

وقد ورد عن السدِّي أنَّه قال: "كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا جَالَسُوا الْمُؤْمِنِينَ وَقَعُوا فِي النَّبِيِّ ﷺ وَالْقُرْآنِ، فَسَبُّوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلا يَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٥/٧ .

(٢) التفسير المنير ٣٢٤/٥ .

(٣)أخرجه الطبري في تفسيره ٣١٤/٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٤/٤ .

"**وقد حدث خلاف بين العلماء** على أنَّ هذه الآية محكمة أم منسوخة ، فمنهم من قال أنَّها منسوخة ولكنَّ الجمهور ذهبوا إلى أنَّها محكمة لا نسخ فيها، لأنها خبرٌ والخبر لا يدخله النسخ لأنها إنما دلت على أنَّ كلَّ إنسانٍ إنما يختصُّ بحساب نفسه لا بحساب غيره، وقيل: إنما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة"(١).

هـ- قول كفار قريش بأنَّ محمداً اختلق القرآن من تلقاء نفسه وساعده قومٌ من أهل الكتاب وأنَّه خرافات الأُمم السابقين:

قال تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)**[الفرقان:٤،٥].

معنى الآية: "أي: وقال كفار قريش ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه **(وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ)** أي وساعده على الاختلاق قومٌ من أهل الكتاب **(فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراً)** أي جاءوا بالظلم والبهتان حيث جعلوا العربي يتلقَّنُ من العجمي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب فكان كلامهم فيه محض الكذب والزور **(وقالوا أَسَاطِيرُ الأولين اكتتبها)** أي وقالوا في حق القرآن أيضاً إنه خرافات الأمم السابقين أمر أن تكتب له **(فَهِيَ تملى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)** أي فهي تُلقى وتُقرأ عليه ليحفظها صباحاً ومساءً قال ابن عباس: والقائل هو «النضر بن الحارث» وأتباعه والإفكُ أسوأُ الكذب"(٢).

وللوقوف على معاني هذه الآية من خلال كتب التفاسير نجد ما يلي:

قال قتادة عن قوله **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه)** والإفك هو الكذب، وقال مجاهد عن قوله **(وأعانه عليه قوم آخرون)** قال: اليهود تقوله، وقال أيضاً**(فقد جاءوا ظلماً وزوراً)** قال: كذباً، وقوله تعالى **(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً***

(١) لباب التأويل ١٢٣/٢ .

(٢) صفوة التفاسير ٣٢٥/٢ .

قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) قال قتادة عن قوله تعالى**(وقالوا أساطير الأولين)** أي: كذب الأولين وباطلهم[1].

و- سخرية المنافقين بقرَّاء الصحابة رضوان الله عليهم:

قال تعالى: **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ*)**[التوبة: ٦٥،٦٦].

فضح اللهُ عزَّ وجلَّ المنافقين أشدَّ فضيحة من خلال سورة التوبة عندما سخروا بقرَّاء الصحابة -ﷺ- فكفَّرهم الله تعالى بذلك بقرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة؛ كما روى ابنُ عمر - رضي الله عنهما- قال: (قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء أرغبُ بطوناً، ولا أكذبُ ألسنةً، ولا أحبنُ عند اللقاء، فقال رجلٌ: كذبت ولكنك منافق؛ لأُخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبيُّ ﷺ ونزل القرآن، قال عبدالله بن عمر: "فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله يقول: **(أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**[2]، ومن يومها ولا زال المسلمون يقرؤونها، ويسمعونها في مساجدهم **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)**.

قال الإمام القرطبي- رحمه الله -: "لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً ، وهو كيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة. فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: انظر إلى قوله : **(أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)**"[3] [البقرة : ٦٧].

---

(١) انظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بن بشير ٤٨٧/٣ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٤٣/١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/٨ .

وهكذا تتعدَّد وسائل الإساءة إلى كتاب الله تعالى، ولا شكَّ بأنَّ أيَّ نوعٍ من أنواع الإساءة يُعدُّ كُفراً، لذلك ينبغي على كُلِّ مسلمٍ أن يتجنَّب مثل هذه الأعمال، وأن يأخذَ العبرةَ والعظةَ، لكي لا يقع في حُفرةٍ مُظلمةٍ لا نهاية لها.

*** ***

المبحث الثاني: مفهوم الإساءة إلى التوراة والإنجيل.

إنَّ التوراة كتابٌ أنزله الله عزَّ وجلَّ على موسى –عليه السلام–، وهذا الكتاب يشتملُ على أوامر ونواهي وأحكام وشرائع تُخرج بني إسرائيل مما كانوا فيه من المعاصي والذنوب إلى طاعة علَّام الغيوب، فمنهم من أجاب، ومنهم من أنكر فخاب؛ لذلك لم يسلم كتاب التوراة من الادعاءات الكاذبة التي أساءت إلى كلام الله تعالى، وخاصةً من اليهود الذين لعبوا دورًا كبيراً في تغيير ما أنزل الله تعالى، كذلك كتاب الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام ليُبيِّن للنصارى طريق الهداية والنجاة، لكنَّهم حرَّفوا وبدَّلوا، فضلُّوا الطريق، فوصفهم الله تعالى بالضالين، وسوف نتناول هذه الإساءات بالدليل القرآني مع التوضيح:

أولاً: الآيات المشتركة في الإساءة إلى التوراة والإنجيل:

أ- الشكُّ في الله تعالى وآياته:

قال تعالى: (**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً**) [النساء:١٥٣] .

وهذا الشكُّ يتمثَّلُ في العديد من الأُمور التي أساءت إلى الله تعالى وما أنزل من آياتٍ وبيِّنات، **وأولها:** أنَّ أهل الكتاب طلبوا من موسى –عليه السلام– أن يُريهم الله جهرةً، وهذا نوع من الإفتراء والتكذيب لشكهم في وجود الله تعالى، **وثانيها:** أنَّ أهل الكتاب أنكروا وجحدوا ما أنزل الله تعالى من البيِّنات والآيات .

معنى الآية: "هذه الآية لها سبب نزول؛ أخرج ابْن جرير وغيره: (أَنَّ الْيَهُود وَالنَّصَارَى قَالُوا لمُحَمد ﷺ: لن نُبَايِعك على مَا تدعونا إِلَيْهِ حَتَّى تَأْتِينَا بِكِتَاب من عِنْد الله من الله إِلَى فلَان أَنَّك رَسُول الله وَإِلَى فلَان أَنَّك رَسُول الله فَأنْزل الله (يَسْأَلك أهل الْكتاب) الْآيَة"[1].

(١) الدر المنثور للسيوطي٢/٧٢٦ .

وعندما نتناول الإساءة التي وقع فيها أهل الكتاب نجد أنَّ هذه الآية بيَّنت ظلم أهل الكتاب وشكِّهم وعدم إيمانهم بما أنزل الله تعالى وإصرارهم وعنادهم وطغيانهم وبغيهم الذي جعلهم يطلبون رؤية الله تعالى، كل هذا أوقعهم في الهلاك؛ لأنهم لم يُؤمنوا بآيات الله تعالى.

ب- تحريف كتاب الله تعالى:

قال تعالى: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** [البقرة:٧٥] .

معنى الآية: "قال تعالى منكراً على المؤمنين أو متعجباً من طمعهم في إيمان أهل الكتاب بقوله سبحانه: **(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ الله ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** [البقرة: ٧٥].

ومن تحريفهم ما ورد في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [البقرة:١٠٤].

وقوله تعالى: **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً)** [النساء:٤٦]"[(١)].

ومما يؤكد ذلك قصة الفتى اليهودي الذي وضع يده على الآية التي تُذكِّرُ بحدِّ الزنا عندما زنا اليهوديُّ واليهودية، فقد جاء عن عبد الله بن عمر ﷺ "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟» قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحَمِّلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ" [(٢)].

---

(١) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للزهراني ٨٢/١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١٣٢٦/٣، ح ١٦٩٩ .

ج- الصدُّ عن سبيل الله تعالى، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [آل عمران:٩٩] .

يعتبر الصدُّ عن سبيل الله تعالى من أشدِّ أنواع الضلال والانحراف؛ وصدُّ أهل الكتاب كان من أسبابه أنَّهم غيَّروا وبدَّلوا كلام الله تعالى واتبعوا أهواءهم فضلُّوا وأضلُّوا.

حيث جاء في معنى هذه الآية: "أنَّ هذا تعنيفٌ من الله تعالى لكَفَرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"(١).

وقال الطبري في تفسيره أنَّ الله تعالى يعني: "يَا مَعْشَرَ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ التَّصْدِيقَ بِكُتُبِ اللَّهِ ، **(لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)** يَقُولُ : لِمَ تَضِلُّونَ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ وَمَحَجَّتِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الإِيمَانِ **(مَنْ آمَنَ)** يَقُولُ : مَنْ صَدَّقَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ **(تَبْغُونَهَا عِوَجًا)** يَعْنِي تَبْغُونَ لَهَا عِوَجًا"(٢).

د- تبديل الألفاظ بألسنتهم:

قال تعالى: **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** [آل عمران:٧٨] .

معنى الآية: قال الشعبي: "يلون يُحرفون، وقال أهل اللغة: لويتُ الشيء إذاً عدلته عن قصده وحملته على غير تأويله"(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٨٥ .

(٢) جامع البيان ٥/٦٢٥ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٧ .

عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله **(وَإِنَّ مِنْهُم لفريقاً يَلوُون ألسِنتَهُم بِالْكتابِ)** قَالَ: "هم الْيَهُود كَانُوا يزِيدُونَ فِي كتاب الله مَا لم ينزل الله تعالى"(١).

"اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين: أحدهما أنها نزلت في اليهود، والثاني في اليهود والنصارى"(٢).

وقَالَ الرَّاغِبُ: "الْكِتَابُ الْأَوَّلُ مَا كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمُ المذكور فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ)**، والكتاب الثاني التوراة، والثالث الجنس كُتُبِ اللَّهِ كُلِّهَا أَيْ مَا هُوَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ"(٣).

هـ-كتمان ما أنزل الله تعالى:

قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَعِنُونَ)** [البقرة: ١٥٩] .

معنى الآية: والحق سبحانه حين يعرض هذه القضية، يبين لنا موقف الجزاء من الذين يكتمون ما أنزل الله، لقد كتم بعض من أهل الكتاب البينات التي أنزلها الله في الكتاب الذي معهم، بينات تثبت صدق محمد ﷺ في نبوته، وهذا الكتمان سيورث شروراً، وكلما نال العالم شر من كتمانهم فسيلعنهم، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

والحقُّ سبحانه وتعالى ينبه المؤمنين بسيدنا محمد ﷺ إلى أنَّ هذا الجزاء من الطرد ومن اللعن ليس مقصوراً على هؤلاء، وإنما ينسحب ويشمل كل من يكتم ما أنزل الله من البينات، إذن فذلك فيه واقع مما حدث من أهل الكتاب، وفيه أيضا تحذير للذين يؤمنون بالإسلام أن يكتموا بينات الله؛ وإلا صاروا إلى ما صار إليه هؤلاء، وهو اللعن.

---

(١) الدر المنثور ٢٤٩/٢ .

(٢) زاد المسير ٤١١/١ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٨/٣ .

وكلمة «اللعن»: "وردت في القرآن إحدى وأربعين مرة، وساعة تأتي للعذاب تكون للطرد والإبعاد بغضب، وهو الخلود في النار، وساعة يكون الطرد إبعاد تأديب، فلا يوجد بغضب؛ لأن المؤدب لا يغضب على من يؤدبه، وإنما يغضب لمن يؤدبه"(١).

وقد أخبر اللهُ تعالى أن الذي يكتم ما أنزل من البينات والهدى ملعون، واختلفوا من المراد بذلك، فقيل: أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وقد كتم اليهود أمر الرجم، وقيل: المراد كل من كتم الحق ، فهي عامة في كل من كتم علما من دين الله أخبر الله تعالى أن الذي يكتم ما أنزل من البينات والهدى ملعون. واختلفوا من المراد بذلك يحتاج إلى بثه، وذلك مفسر في قوله ﷺ: "من سُئل عن علمٍ يعلمُه فكتمه ألجمه اللهُ يوم القيامة بلجامٍ من نار يوم القيامةٍ"(٢)(٣).

ثانياً: الإساءة إلى التوراة:

أ-عدم امتثالهم لتعاليم التوراة، قال تعالى: **(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً*وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)**[النساء:١٦٠،١٦١] .

معنى الآية: يُخبرُ تعالى أنَّه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة، حَرَّم عليهم طيِّباتٍ كان أحلَّها لهم، وهذا التحريم قد يكون قدرياً، بمعنى: أنَّه تعالى قيَّضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرَّفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم، فحرموها على أنفسهم، تشديدًا منهم على أنفسهم وتضييقًا وتنطعاً، ويُحتمل أن يكون شرعيًّا بمعنى: أنه تعالى حَرَّم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: **(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزلَ التَّوْرَاةُ)**[آل عمران: ٩٣]، والمراد: أنَّ الجميع من الأطعمة كانت حلالاً لهم، من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه

---

(١) تفسير الشعراوي ٦٧٢/٢ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢١٤/١٤، ح ٨٥٣٣ ، وصححه الألباني في صحيح الرغيب والترهيب ٢٨/١ ، ح١٢١ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٢-١٨٦ .

من لحوم الإبل وألبانها، ثمُّ إنَّه تعالى حرَّم أشياءً كثيرةً في التوراة، كما قال في سورة الأنعام: **(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)**[الأنعام: ١٤٦] أي: إنما حرمنا عليهم ذلك؛ لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه. ولهذا قال: **(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا)** أي: صدُّوا الناس وصدُّوا أنفسهم عن اتباع الحق، وهذه سَجِيَّة لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خَلْقًا من الأنبياء، وكذَبوا عيسى ومحمدًا، صلوات الله وسلامه عليهما.

وقوله: **(وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ)** أي: أنَّ اللهَ قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل، قال تعالى: **(وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)** [النساء:١٦١][1].

ب- الكفر بآيات الله تعالى:

قال تعالى: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)** [البقرة :٦١] .

إنَّ الكفر بآيات الله تعالى من قِبَل اليهود شيءٌ ليس بغريب لأنَّهم رفضوا النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، لذلك استحقُّوا غضب الله تعالى عليهم.

معنى الآية: "ذكر اللَّه تعالى بعض قبائح اليهود، ومنها أنهم قالوا لموسىعليه السلام: لا يمكننا أن نستمرّ على طعام واحد، وهو المنّ والسّلوى ، وطلبوا أطعمة أخرى من الخضروات والبقول

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٧/٢ .

كالحنطة والعدس، والبصل والقثاء، ومن قبائحهم كفرهم بآيات اللّه، وقتلهم الأنبياء بغير حق، كزكريا ويحيى وغيرهما، فجعل اللّه الذّلة والمسكنة محيطة بهم كما تظلل الخيمة من فيها، ولا يعدّ وجودهم في فلسطين متناقضاً مع إذلال اللّه لهم لأنه وجودٌ عنصريٌ متعصِّبٌ قائمٌ على الحقد والبغضاء والكراهية، وعلى الاغتصاب والظلم والشّر والتّآمر مع قوى البغي والعدوان، وزوال كل ذلك سريع بإذن اللّه تعالى"(١).

إنَّ تكذيبَ اليهود لكتابهم، وكفرهم بما فيه من آيات وأحكام دفعهم إلى أن يصدُّوا الناس عن دين الله تعالى، ويأخذوا بأيدي من يضلونهم إلى طريق الإنحراف والضلال، لذلك توعَّدهم الله تعالى بالعذاب الشديد .

ج- لبسُ الحقِّ بالباطل:

قال تعالى: **(وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)** [البقرة :٤٢] .

معنى الآية: "قوله تعالى: **(وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ)** [البقرة: ٤٢] يقال: لبست الأمر ألبسه لبساً، إذاً خلطته وعميته، ومنه قوله تعالى: **(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)**[الأنعام:٩]، والمعنى: ولا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وتبديل نعته"(٢).

قال مقاتل: "إنَّ اليهودَ أقرُّوا ببعض صفة محمد ﷺ وكتموا بعضًا، ليصدقوا فِي ذلك، فقال الله تعالى: ولا تلبسوا الحق الذي تقرون به وتبينونه، بالباطل: يعني بما تكتمونه، فالحق بيانهم، والباطل كتمانهم"(٣).

"وقد نهاهم اللهُ تعالى عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأنَّ المقصودَ من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل،

---

(١) التفسير الوسيط ٣٠/١ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٧٢/١ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٢٨/١ .

ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين"[١].

ثالثاً: الإساءة إلى الإنجيل:

وسوف نتناول مثالاً واحداً وهو: النسيان وعدم الحفظ: قال تعالى: **(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)** [المائدة: ١٤].

من معاني (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ): "(تركوا نصيباً مما أُمروا به في الإنجيل من اتباع قول محمد ﷺ ويُقال نقضوا العهد كما نقض اليهود)"[٢].

ومن المعاني أيضاً: "تركوا العمل بأصول دينهم رغبة عنه، فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، فإن طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم، لا يزالون متباغضين متعادين، يكفّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، وسينبئهم اللهُ يوم القيامة بما صنعوا في الدنيا، وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله، وعلى ما نسبوه إلى الرب عز وجل من اتخاذ الصاحبة والولد والشريك، ويجازيهم على ذلك بقدر ما يستحقون حتما في الآخرة"[٣].

وقوله تعالى: **(فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)**، قَالَ الْبُخَارِيُّ: "الإِغْرَاءُ: التَّسْلِيطُ" [٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٠/١ .

(٢) بحر العلوم ٤٠١/١ .

(٣) انظر التفسير المنير ١٢٨/٦ .

(٤) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار ٤٩٦/١٨ .

ومن المعاني في قوله تعالى: (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ): "هو أنَّ المعنيَّ بالإغراء بينهم: النصارى في هذه الآية خاصة، وأن الهاء والميم عائدتان على النصارى دون اليهود"(١).

يتبيَّنُ من هذا المثال إساءة النصارى لكتاب الإنجيل من خلال النسيان، وعدم الحفظ، وبالتالي عدم العمل بما أنزل الله تعالى، وعدم تطبيق الشريعة التي أرسل الله تعالى بها عيسى عليه السلام .

*** ***

(١) جامع البيان ٨/٢٦٠ .

الفصل الرابع : مفهوم الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام.

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم الإساءة لنوح عليه السلام في القرآن.

المبحث الثاني: مفهوم الإساءة للوط عليه السلام في القرآن.

المبحث الثالث: مفهوم الإساءة لموسى عليه السلام في القرآن.

المبحث الرابع: مفهوم الإساءة للنبي محمد ﷺ .

المبحث الأول

مفهوم الإساءة لنوح عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إساءة قوم نوح عليه السلام لنبيهم.

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم نوح.

المطلب الأول: إساءة قوم نوح عليه السلام لنبيهم .

أولاً: التعريف بسيدنا نوح عليه السلام:

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ – وهو إدريس – بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر عليه السلام.

وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره. وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون(١).

ونوحٌ عليه السلام أوَّلُ رسولٍ إلى البشرية؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث الشفاعة قال: (...فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أوَّلُ الرسل إلى أهل الأرض، وسمَّاك اللهُ عبداً شكوراً)(٢) .

إنَّ الناظرَ إلى كتابِ الله تعالى سيجدُ أنَّ القرآن الكريم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة، في غير ما موضع من كتابه العزيز ؛ ففى الأعراف ويونس وهود والانبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات والقمر، وأنزل فيه سورة كاملة، لذلك سأتناول بعض الأمثلة الدالة على ذكر هذه القصة، **فقال في سورة الاعراف:** (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ)[الأعراف:٥٩].

وقال تعالى في سورة يونس: (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون)، وقال تعالى في سورة هود: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنِّى لكم نذيرٌ مبينٌ*أن لا تعبدوا إلاَّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم)، **وقال تعالى في**

---

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٧٤-٨٠ .

(٢) رواه مسلم ١/١٨٤، ح ٣٢٧ .

سورة الانبياء: (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين).

وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)، **وقال تعالى في سورة الشعراء:** (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون)، **وقال تعالى في سورة العنكبوت:** (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)، **وقال تعالى في سورة الصافات:** (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين).

ثانياً: قصة نوح عليه السلام **وإساءة قومه له:** لقد أرسل اللهُ عزَّ وجلَّ نوحًا عليه السلام إلى قومه الكافرين العصاة ، عبدة الأصنام ، فبقي فيهم يدعوهم إلى توحيد الله تعالى مئات السنين، فلم يؤمن بدعوته إلا قليلٌ من الناس كما قال تعالى : **(وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)** [هود: ٤٠] ، وكذَّبوه وآذوه ، وأفحشوا له القول، فصبر نوح عليه السلام على أذاهم ، ومضى زمانٌ طويلٌ ، وهو يدعوهم إلى أن يتركوا عبادة الأصنام، ويؤمنوا بالله الواحد الأحد ، وبيوم القيامة والحساب ، فلم يفلح ، ولم يستجيبوا لدعوته، وأمعنوا في الإعراض والإستكبار ، كما جاء في آية أخرى : **(قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَساراً)**[نوح : ٢١][1].

وكان قد كثرت فيهم المعاصي، وكثرت الجبابرة وعتوا عتواً كبيراً، وكان نوح عليه السلام يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وعلانيةً، وكان صبوراً حليماً، ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح عليه السلام، فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه، ويضربونه في المجالس ويطردونه ، وكان لا يدعو على من يصنع به بل يدعو لهم ويقول : "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه، حتى إنَّه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل أصبعيه في

(١) انظر التفسير الوسيط ١٩٥٢/٣ .

أذنيه لكيلا يسمع شيئاً من كلامه، فذلك قوله تعالى: **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ)** [نوح : ٧]. وقال مجاهد وغيره : كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". وقال ابن عباس ﷺ: "إنَّ نوحاً عليه السلام كان يُضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته يرون أنه قد مات ، ثم يخرج فيدعوهم ؛ حتى إذا يئس من إيمان قومه جاءه رجل معه ابنه وهو يتوكأ على عصا؛ فقال : يا بني أنظرْ هذا الشيخ لا يغرنك ، قال : يا أبتِ أمكني من العصا ، فأمكنه فأخذ العصا، ثم قال: ضعني في الأرض فوضعه، فمشى إليه بالعصا فضربه فشجه شجة موضحة في رأسه، وسالت الدماء؛ فقال نوح عليه السلام: "ربِّ قد ترى ما يفعل بي عبادك فإن يك لك في عبادك خيرية فاهدهم وإن يك غير ذلك فصبرني إلى أن تحكم وأنت خير الحاكمين" فأوحى الله إليه وآيسه من إيمان قومه، وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء مؤمن"؛ قال: **(وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** [هود:٣٦][1].

وللوقوف على قصة نوح عليه السلام بشكلٍ أوضح يُمكننا تناولها من خلال هذه العناوين:

أولاً: حال الناس قبل بعثته:

بداية الشرك في الأرض، عن ابن عباس ﷺ في قوله –تعالى :–**(وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)** [نوح:٢٣]، قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عُبدت"[2] .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٢–٤٥ بتصرف .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٦/١٦٠، ح ٤٩٢٠ .

ثانياً: دعوةُ نوح عليه السلام:

جرت سنةُ الله تعالى في إرسال رسله مبشرين ومنذرين، وداعين إلى عبادة الله تعالى، ومُحذِّرين من الوقوع في الشرك **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** [النحل:٣٦] ، فقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** [الأعراف:٥٩]، **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)** [هود:٢٥] ،ودعاهم كذلك إلى توحيد العبادة بتذكيرهم بمعاني ربوبية الله فيهم: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا *مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)** [نوح:١٠-١٤] .

ثالثاً: موقف قومه من دعوته:

بعد هذه الدعوة المتواصلة والمستمرة دون كلل أو ملل، لم يجد نوح عليه السلام من قومه إلا التكذيب والإصرار والعناد والمكابرة، وكانت أبرز أساليب الإساءة إليه عليه السلام ما يلي:

١- **التمسك بالشرك ورفض التوحيد: (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ -وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)** [نوح:٢٣] .

٢- **الإتهام بالبشرية استكبارًا: (فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا)** [هود:٢٧] .

٣- **الإتهام بطلب الرياسة والصدارة: (مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)** [المؤمنون:٢٤].

٤- **الإتهام بالضلال والجهل والجنون: (قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)** [الأعراف:٦٠]، **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)** [القمر:٩] .

٥- الإتهام بالتأثير على الضعفاء والفقراء، والتحقير للأتباع: (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ) [هود:٢٧] .

رابعاً: أهمُّ السِّمات التي امتاز بها نوح عليه السلام في دعوته:

١- صبره عليه السلام واستمراره في الدعوة:

-دفاعه عن الدعوة والرسالة: **(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي)** [الأعراف:٦١- ٦٢] .

٢- تواضعه عليه السلام في دعوتهم: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) [هود:٢٨] .

٣- إظهار البراءة من طلب الدنيا، والطمعِ فيما عندهم: (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ) [هود:٢٩].

٤- طول زمان دعوته وعظيم جهده وتفانيه في تبليغ الرسالة: (إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَاراً) [نوح:٥]، **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا)** [العنكبوت:١٤].

خامساً: سماتُ المُنكرين لدعوة نوح عليه السلام:

وأهمُّ هذه السمات:

١- الإعراض والاستكبار: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً)[نوح:٧].

٢- التهديد والتحدي:(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)[الشعراء:١١٦].

٣- مظاهر الخاتمة السوء ظاهرة عليهم: (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[هود: ٣٤].

٤- استهزاء القوم: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوامِنْهُ)[هود:٣٨].

*** ***

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم نوح عليه السلام ونجاة المؤمنين.

بعد أن دعا نوح عليه السلام قومه هذه السنوات الطويلة؛ مستخدماً في دعوته كلَّ أساليب الدعوة إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً كالعلم، والعمل بهذا العلم، والصبر، والحلم، والشفقة، والرحمة، إلاَّ أنَّ هذه الأساليب لم تُجدي نفعاً مع أكثر قوم نوح عليه السلام، وقد كان نهجهم السخرية، والاستهزاء، والاستكبار، والعتو، واتهام سيدنا نوح عليه السلام بالجنون، وتكذيبهم بلقاء الآخرة، ووضع الأيادي على الآذان؛ لئلا يسمعوا ما يقوله نوح عليه السلام؛ عند ذلك دعا نوح عليه السلام ربه بأن ينتصر له؛ فجاء الجواب الرباني بنصرة سيدنا نوح عليه السلام ومن آمن معه، وهلاك المسيئين من قومه .

وقد أخبر الله تعالى عن هلاك قوم نوح فقال: **(وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ)** أي: "وأهلكنا قوم نوحٍ بالطوفان من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين **(إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ)** تعليلٌ للهلاك أي لأنهم كانوا فسقةً خارجين عن طاعة الرحمن بارتكابهم الكفر والعصيان"[1].

وعندما نتأمَّلُ أسلوبَ القرآن: **(وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل)** [الفرقان: ٣٧] فمعلومٌ أنهم كذَّبوا رسولهم نوحًا عليه السلام لا جميع الرسل، قالوا: لأن النبوة لا تأتي بمتعارضات، إنما تأتي بأمور مُتفق عليها؛ لذلك جعل تكذيبَ رسول واحد كتكذيب جميع الرسل.

ثم ذكر عاقبة ذلك: **(أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً)** [الفرقان: ٣٧] وكلمة **(أَغْرَقْنَاهُمْ)** [الفرقان: ٣٧] تعني: أنَّ الذي أغرق المكذبين نَجَّى المؤمنين، وإغراق المكذبين عملية تردُّ على سخريتهم من نوح عليه السلام ، حينما مرُّوا عليه وهو يصنع السفينة: **(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُون)** [هود: ٣٨] .

---

(١) صفوة التفاسير ٢٣٩/٣ .

ولم يكن الغرق نهاية الجزاء، إنما هو بدايته، فهناك العذاب الذي ينتظرهم في الآخرة: **(وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً)** [الفرقان: ٣٧] وهكذا جمع الله تعالى عليهم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة[١].

وورد أنَّ الله تعالى لم يجعل لأحدٍ ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عقباً سوى نوح عليه السلام قال تعالى: **(وجعلنا ذريته هم الباقين)**، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام، وحام، ويافث[٢].

ويمكننا تناول النقاط التالية التي تُبيِّن نجاة المؤمنين وهلاك المسيئين:

١- **نوح عليه السلام يتضرع إلى الله تعالى: (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)** [المؤمنون:٢٦]، **(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)** [الصافات:٧٥]، **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا)** [نوح:٢٦-٢٧] .

٢- **استجابة الدعوة والتبشير بنجاة المؤمنين: (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** [هود:٣٦]، **(فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)** [القمر:١٠-١٢] .

٣- **نزول العذاب على الكافرين:**

لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين من قوم نوح عليه السلام، فأمر نوحاً بأخذ أسباب النجاة وهي:

أ- **الأمر بصنع السفينة: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)**[هود:٣٧] .

---

(١) انظر تفسير الشعراوي ١٠٤٤٤/١٧ .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ١٠٩/١ .

ب-**الأمر بركوب السفينة: (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ)**[هود:٤٠] .

ت-**نزول المطر وانفجار العيون: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ *وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونَ)[القمر:١١-١٢] ، (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)** [هود:٤٢]، **(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً)**[نوح: ٢٥] .

ث-**ابن نوح يكفر: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)**[هود:٤٢] .

ج-**العاقبة للمؤمنين:** قال الله تعالى: **(فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ)** [الأعراف:٦٤]، وقال:**(وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)** [يونس:٧٣]، وقال:**(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ)** [هود:٤٨]، وقال: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**[هود:٤٤].

وهكذا تتحقق سنَّةُ اللهِ تعالى في الدَّعوات، يُنجِّي اللهُ تعالى المؤمنين، ويُهلك الكافرين والجاحدين.

ومما لفت نظري في قصة نوح عليه السلام ما أوصى به قبل وفاته: روى الإمامُ أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو أن النبيَّ ﷺ قال: "**إنَّ نبيَّ اللهِ نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنِّي قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنين، آمرك بلا إله إلا الله، فإنَّ السمواتِ والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السموات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقةً مبهمةً قصمتهن لا إله**

إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنَّها صلاةُ كلِّ شيء وبها يُرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر"[1].

وللوقوف على وصية نوح عليه السلام يتبيَّنُ لنا عظمة التوحيد وأهميته بقوله لا إله إلا الله، وفضل ومكانة الذكر بقوله سبحان الله وبحمده، وأنه سببٌ من أسباب الرزق، كذلك يتبيَّنُ لنا خطورة الشرك وعواقبه، والكِبْر وآثاره، لذلك أوجز وصيَّته في هذه الكلمات القليلة في حروفها لكنَّ معانيها عظيمة.

*** ***

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ١/ ١٩٢، ح ٥٤٨ .

المبحث الثاني

مفهوم الإساءة للوط عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إساءة قوم لوط عليه السلام لنبيهم.

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم لوط.

المطلب الأول: إساءة قوم لوط عليه السلام لنبيهم.

أولاً: التعريف بسيدنا لوط عليه السلام :

"هو لوط بن هاران– أخي إبراهيم بن تارح، آمن بإبراهيم عليه السلام واهتدى بهديه، كما قال تعالى: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ"، وَقالَ: **(إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي)** [العنكبوت: ٢٦] وتبع إبراهيم عليه السلام في رحلاته، فكان معه فيما بين النهرين، ثم بمصر، ثم ببلاد الشام، حيث سكن في سدوم في شرقي الأردن"(١).

ثانياً: قصة لوط عليه السلام وإساءة قومه له:

ذكر القرآن الكريم قصة سيدنا لوط عليه السلام مع قومه والأعمال القبيحة التي كانوا يقومون بها في العديد من السُّور، وذلك إمّا بشكلٍ مُفصَّل، وإمَّا بشكلٍ مُجمل؛ لتكون عبرةً وعظةً لكلِّ من يعمل هذه القبائح، وللوقوف على هذه القصة نضرب بعض الأمثلة القرآنية التي تناولت هذا الموضوع:

١- **قال تعالى: (وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ * وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *)** [الأعراف: ٨٠-٨٤].

٢- **قال تعالى: (وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ * قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ**

(١) التفسير المنير ٢٨١/٨ .

بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّـهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَـيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيـبٍ * فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ *) [هود٧٧-٨٣].

٣- **قال تعالى: (وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ * أَإِنَّكُمْ لَتَـأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَـأْتُونَ فِـي نـادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِـهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّـهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ * قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّـهُ وَأَهْلَـهُ إِلاَّ امْرَأَتَـهُ كانَـتْ مِنَ الْغابِرِينَ * وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ * إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَـةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** [العنكبوت ٢٨-٣٥].

قلنا أنَّ لوطاً عليه السلام تبع إبراهيم عليه السلام في رحلاته فيما بين النَّهرين، ثم مصر، ثم بلاد الشّام ، حيث فارق عمه إبراهيم عليه السلام ، وسكن في سدوم في شرقي الأردن، وكان أهل سدوم يعملون العديد من الأعمال الخبيثة والقبيحة دون حياء ولا عفة أمام الناس التي تنمُّ عن مدى الإساءة التي وقعوا فيها، ومن هذه الأعمال: أنَّهم يقطعون الطريق على التّجار، ويأخذون بضائعهم، وإتيان الرجال في الأدبار، كما قال اللَّهُ تعالى على لسان لوط عليه السلام لقومه: **(أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ)** [العنكبوت: ٢٩].

ورُوي: أنه لم تكن هذه المعصية في أُممٍ قبلهم؛ لذا قال لهم: ما فعلها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي مبتدعة منكم ، وعليكم وزر كل من يفعلها في المستقبل لأنَّ من سنَّ سنَّة

سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وهذا دليل على أن تلك الفاحشة أمر مناقض للفطرة[1].

دعا لوط عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطى هذه المحرمات والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، وأصروا على فجورهم وكفرانهم، وكان قولهم كما قال الله تعالى: **(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)** [النمل: ٥٦].

ومن المفارقات القرآنية التي تحدَّثت عن قصص الأنبياء اقتران بيان قصة لوط عليه السلام ونوح عليه السلام في موضعٍ واحدٍ من القرآن الكريم، بالرغم من الفارق الزمني بينهما، للعبرة والعظة المتشابهة ، وتطمين أهل الإيمان والثقة بالله بأن ربَّ العزة نجّى هذين الرسولين من عذاب القوم الفاسقين الذين أبوا الإيمان برسالة هذين النبيين، تحدياً وعناداً واستكباراً، وكانت نجاة الرسولين مع المؤمنين بسبب الصلاح والاستقامة ، والثبات على العقيدة ، والصبر على تبليغ الرسالة، قال الله تعالى: **(وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَنُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ)**[الأنبياء :٧٤- ٧٧][2].

*** ***

(١) انظر التفسير الوسيط ٦٨٧/٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ١٥٩٩/٢ .

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم لوط عليه السلام.

أهلك الله العصاة، وهم أهل اللواط، ولم يكن أكثرهم مؤمناً بالله ورسله، وإن ربَّك لهو القوي الغالب القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين أهل التوبة والغفران، فما أشدّ هذا العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

لمّا حان وقت العذاب أمر الله تعالى جبريل عليه السلام فاقتلع مَدائن قوم لوط عليه السلام، وهي خمسٌ من أسفل الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها، حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة، ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة وأتبعهم الله بالحجارة؛ ولهذا قال تعالى: **(فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا)** [الحجر: ٧٤] حيث شبَّه العذاب بالمطر المدرار لكثرته؛ حيث أرسل المطر **(فانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المجرمين)** [الأعراف:٨٤] (١).

وذكر ابن كثير –رحمه الله تعالى– في هلاك قوم لوط عليه السلام قوله:

"وَقَدْ كَانَ فِي الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلُ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاقْتَلَعَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، وَكُنَّ سَبْعًا فِيهِنَّ مِنَ الْأُمَمِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَرَاضِي وَالْمَزْرُوعَاتِ، وَمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعَهُنَّ حَتَّى بَلَغَ بِهِنَّ عَنَانَ السَّمَاءِ عَلَى طَرَفِ جَنَاحِهِ، ثُمَّ قَلَبَهُنَّ مُنَكَّسَاتٍ وَأَتْبَعَهُنَّ بِالْحِجَارَةِ الَّتِي سُوِّمَتْ لَهُمْ"(٢).

والعجيب في ذلك أنَّهم كانوا يأمرون بإخراج لوط عليه السلام ومن آمن به من القرية؛ لأنَّهم أُناسٌ يتطهرون!! يا للعجب العاجب من الناس من ينقمون على إخوانهم، لأنهم آمنوا بربهم، ودعوا غيرهم إلى الدين الحق!! ولكن هل يغفل الحق– تبارك وتعالى–، فهذا لوط عليه السلام مع قومه العتاة العصاة المتجبرين قد نجَّاه الله تعالى وأهله الذين آمنوا معه إلا امرأته فقد قضى عليها أن تكون من الهالكين، ولم ينفعها قربها من لوط، ما دامت تستحق الهلاك لكفرها وأمطر الله تعالى على العصاة المتكبرين مطر السوء فأبادهم وخسف بهم الأرض، فساء وقبح مطر المنذرين، وتلك عاقبة العصاة الفاسقين.

---

(١) انظر صفوة التفاسير ٤٢٤/١.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤٥٥/٢ .

وقد قيل لمجاهد: هل بقي من قوم لوط أحد؟ قال: لا، إلا رجل بقي أربعين يوماً وكان بالحرم فجاءه حجرٌ ليصيبه في الحرم، فقام إليه ملائكةُ الحرم فقالوا للحجر: ارجع من حيث جئت، فإن الرجل في حرم الله تعالى، فرجع فوقف خارجاً من الحرم أربعين يوماً بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته، وخرج من الحرم إلى هذا المحل أصابه الحجر فقتله فدفن فيه[1].

وقد قال الله تعالى في هلاك قوم لوط: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ* قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ* وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ* إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ*) [العنكبوت: ٣١-٣٥] .

أخبرت الملائكة لوطاً بما هم فاعلون لقومه وهو قولهم **(إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)** أي مدينة سدوم **(رِجْزاً)** أي عذاباً من السماء وهي الحجارة بسبب فسقهم بإتيان الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. قال تعالى: **(وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا)** أي من تلك القرية **(آيَةً بَيِّنَةً)**، أي عظة وعبرة، وعلامة واضحة على قدرتنا على إهلاك الظالمين والفاسقين. وقوله تعالى: **(لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** إذ هم الذين يتدبرون في الأمور ويستخلصون أسبابها وعواملها ونتائجها وآثارها أما غير العقلاء فلا حظ لهم في ذلك ولا نصيب فهم كالبهائم التي تنساق إلى المجزرة وهي لا تدري وفي هذا تعريض بمشركي مكة وما هم عليه من الحماقة والغفلة[2].

---

(١) السيرة الحلبية للحلبي بتصرف ١٦٤/٣ .

(٢)انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١٣١/٤ .

عقوبة من عَمِل عَمِلَ قوم لوط:

روى أَبُو دَاوُد وغيرُه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ**"(١).

وروى أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، ثَلاثًا**"(٢).

اختلف العلماء في حدّ اللاَّئط: فقال بعضهم: "يُرجم مُحْصَناً كان، أو غيرَ محصنٍ ، وكذلك المفعول به إن كان محتلماً "، **وقال بعضهم:** "إنْ كان مُحصناً رُجم، وإن كان غير مُحصن أدّب وحُبِس"، **وقال أبو حنيفة :** يُعزَّر، وروي عن أبي بكر الصديق أَنَّهُ حَرَّقَ رجُلاً يُسَمّى الفُجَاءَة حين عمل عمل قوم لوط بالنَّار، وأحرقهم ابن الزُّبير في زمانه، ثم أحرقهم هِشامُ بنُ الوليدِ(٣).

وقال الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة) : إن اللواط يُوجب الحدَّ؛ لأن الله سبحانه غلّظ عقوبة فاعله في كتابه المجيد، فيجب فيه حد الزنى، لوجود معنى الزنى فيه، وحدُّ اللائط عند المالكية، والحنابلة في أظهر الروايتين عن أحمد: هو الرجم بكل حال، سواء أحصن (تزوج) أو لم يحصن، أي سواء أكان ثيباً أم بكراً(٤)، **أمَّا الإمام الشافعي فله قولان، الأول:** أنَّه يُرجم سواء كان محصنًا أو غيرَ محصنٍ، **والثاني:** أنَّه كالزاني، فإن كان محصنًا رُجم، وإن لم يكن محصنًا جلد مائة جلدة(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه١٥٨/٤، ح ٣٢٣٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب٣١١/٢، ح ٢٤٢٢ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٨٣/٥ ، ح٢٩١٣ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٦٤/٧ ، ح٣٤٦٢ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٢٠٩/٩.

(٤) التفسير المنير ٢٨٦/٨.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٤٦/٣.

العبرة من قصة لوط عليه السلام:

جعل اللهُ عزَّ وجلَّ قصة لوط عليه السلام عبرةً وعظةً لمن خلفهم من الأمم وآية على قدرة الله عز وجل وعزّته وانتقامه ممن حارب رسله وخالف أمره واتّبع هواه ، قال تعالى: "وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"، فهي آية بيّنة باقية إلى يوم القيامة تركها اللهُ عز وجل دليلاً على جبروته وانتقامه ونكالاً لما بين يديها وما خلفها ليتعظ بها أولوا العقول الرّزينة فينتفعون بها فيفرّون إلى الله عزَّ وجلَّ، ويعلمون أنَّه لا ملجأ ولا منجا منه إلاَّ إليه. **والسِرُّ في محاربة الدين والأخلاق لهذه الفاحشة النكراء،** أنَّها تُحدث انحرافاً في الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وتشويها لها بإخراجها عن طريقها، وتؤدي في النهاية إلى تهديد النوع الإنساني بالانقراض تدريجيا، وتعطيل النسل من أصله، حيث إنَّ هذه الفاحشة تعطل طاقة الإخصاب عند صاحبها عن نشاطها الأصلي، وتضييع طاقته في غير جدوى ودون ثمرة، لا للفرد ولا للمجتمع، وذلك مؤد بطبيعته إلى القضاء على أصل من الأصول الأساسية للملة، وهو حفظ النسل الذي يصونه الشرع بكل الوسائل[1].

*** ***

(١) التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي الناصري ٢/٢٣٦.

المبحث الثالث: مفهوم الإساءة لموسى عليه السلام في القرآن.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول :إساءة قوم موسى عليه السلام لنبيهم.

المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم موسى عليه السلام.

المطلب الأول: إساءة قوم موسى عليه السلام لنبيهم.

أولاً: التعريف بسيدنا موسى عليه السلام:

"هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام"(١).

وقيل: "هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام"(٢).

ثانياً: قصة موسى عليه السلام وإساءة قومه له:

تعدَّد ذِكرُ قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن الكريم مراتٍ عديدةٍ؛ وذلك لأهمية المراحل الدعوية والإنسانية التي عاشها سيدنا موسى عليه السلام في حياته، فمنذ الصِغر أُلقي في اليم بأمرٍ ربَّاني حفاظاً عليه في وقتٍ كان فرعون فيه قد تجبَّر وتكبَّر على قومه، وموسى عليه السلام كان له مواقف كثيرة في القرآن الكريم، فتارةً تحدَّثَ القرآن الكريم عن قصته مع بني إسرائيل عندما أمرهم اللهُ عزَّ وجلَّ أن يذبحوا بقرة، وتارةً تحدَّثَ عن قصته مع فرعون، وتارةً تحدَّث عن قصته مع الخِضر، وغير ذلك من المواقف التي دلَّت على حرص سيدنا موسى عليه السلام على الدعوة إلى الله تعالى، وصبره على تحمُّل الأذى في سبيل الله تعالى، وأمانته، وشجاعته، وقوته، كلُّ هذه الصفات كانت نموذجاً رائعاً لرجلٍ نال شرف النبوة، وشرف تكليم الله تعالى، كما قال سبحانه: **(وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)** [النساء: ١٦٤].

وسوف نتناول بعض الأمثلة القرآنية التي ذكرت قصة سيدنا موسى عليه السلام وهي:

١-قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [البقرة:٦٧] .

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/٢١٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٩٥ .

٢-قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة:٥٤].

٣-قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) [المائدة:٢٠] .

٤-قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) [إبراهيم:٦] .

٥-قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ*إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ*) [المؤمنون:٤٥،٤٦].

"أرسل موسى وأخاه هارون بالآيات الدامغة الدالة على صدق نبوتهما لفرعون وملئه، وتلك الآيات تسع ، منها اليد والعصا اللتان اقترن بهما التحدي ، وهما «السلطان المبين» أي الحجة الواضحة ، وبقية الآيات كالبحر الذي أغرق فرعون وجنوده فيه ، والمرسلات الست : وهي أرسلها الله على فرعون وقومه ، وذكرها الله في سورة الأعراف ، وهي الطوفان ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدّم ، والرّجز أي القحط والسنون العجاف"(١).

وللوقوف على الإساءات التي تعرَّض لها موسى عليه السلام فهي على قسمين:

أولاً: إساءة بني إسرائيل ومنها:

١-طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يريهم الله عزَّ وجلَّ جهرة، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) [البقرة: ٥٣] .

(١) التفسير الوسيط ١٦٩٥/٢ .

وقال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً) [النساء:١٥٣] .

قال ابنُ هشام: "جهرةً أي ظاهراً لنا لا شيء يستره عنا"(١)،وقال قتادة: أي عياناً"(٢).

حيث إنَّ هذه الآيات لها سبب نزول، فكما ذكر السُّدِّي –رحمه الله– قائلاً: إنَّ اللهَ تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً، فاختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرةً، فإنك قد كلمته، فأرنا إياه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثُمّ أحياهم(٣).

٢–عدم الصبر على طعامٍ واحد، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) [البقرة :٦١] .

جاء في معنى قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ) كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الأول بمصر قال الحسن : كانوا أهل أبصال وأعداس فنزعوا إلي أنفسهم السوء واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا : لن نصبر على طعام واحد وكنُّوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لأنَّهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فلذلك قالوا طعام واحد وقيل لتكرارهما(٤).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام٣/٧٠ .

(٢) معاني القرآن ٢/٢٢٨ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٣/٤٧٩ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/٤٢٢ .

ومن خلال معنى الآية يتبيَّن لنا إساءة بني إسرائيل، وتعنتهم، وعنادهم باستبدالهم الطيَّب من الطعام إلى الدنيء من الطعام، وعدم شكرهم لله تعالى على النِّعم التي أنعمها عليهم، لذلك استحقوا الذلة والمسكنة وغضب الله تعالى عليهم؛ لأنهم بدَّلُوا نعمة الله كُفراً وأحلُّوا قومهم دار البوار.

٣-التشدُّد والتعنت وعدم المسارعة في امتثال الطاعة:

أ-قصة ذبح البقرة:

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ*قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ* قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ* قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ) [البقرة: ٦٧-٧١] .

"تذكر الآيات نوع آخر من مساوئ بني إسرائيل ألا وهو مخالفتهم للأنبياء وتكذيبهم لهم، وعدم مسارعتهم لامتثال الأوامر التي يوحيها الله تعالى إليهم، ثم كثرة اللجاج والعناد للرسل صلوات الله عليهم، وجفاؤهم في مخاطبة نبيهم الكريم موسى عليه السلام" (١).

ب-قصة دخول بيت المقدس:

عندما أمرهم نبيهم موسى عليه السلام بدخول بيت المقدس جادلوا وماطلوا وتنطعوا في مجادلتهم موسى عليه السلام فمرةً قالوا:**(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)** [المائدة:٢٢] ، ويأمرهم نبيهم بلسان حنون عطوف عليهم يتودَّدُهم بالطاعة، فيقول لهم: **(ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى**

(١) صفوة التفاسير ٥٨/١ .

اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [المائدة:٢٣] ، فيكون الردُّ العنيف منهم **(فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)** [المائدة:٢٤] ، مما جعل موسى عليه السلام في غاية اليأس من طاعتهم واستجابتهم لأمره، وجعله في غاية التأثر مما قالوا، فقال: **(رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)** [المائدة:٢٥]، فيا عجباً من كان هذا حالُه كيف يُرجى خيره؟!

ثانياً: إساءة فرعون:

تمثَّلت إساءة فرعون في العديد من الأُمور منها:

١-**ادَّعاءُ الربوبية:** وهي أشدُّ أنواع الإساءة التي وقع فيها فرعون، قال تعالى: **(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)**(النازعات: ٢٤]، وقال أيضاً في فرعون: **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي)** [القصص:٣٨]، ولا شكَّ أنَّ إساءته هذه فضلاً عن أنَّها إساءة لله تعالى، فهي إساءة لنبيه موسى عليه السلام الذي دعاهم إلى التوحيد الخالص.

٢-**تعذيبُ بني إسرائيل وذبحُ أبنائهم، قال تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)** [البقرة:٤٩].

"وذلك أنَّ فرعونَ رأى في منامه كأنَّ ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر، وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك، وسأل عن رؤياه فقالوا: يُولد غلامٌ يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل"(١).

٣-**استخدامُ الأموال في الصدِّ عن سبيل الله تعالى، قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)** [يونس:٨٨] .

(١) لباب التأويل ٤٣/١ .

قال موسى عليه السلام ذلك، غضبًا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدُّوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأنَّ اللهَ سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم[1].

٤-اتهامُ فرعون لموسى عليه السلام تارة بالساحر، وتارة بالمسحور الذي فقد عقله، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لاَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً) [الإسراء: ١٠١].

وقال تعالى: (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) [الأعراف:١٠٩] .

قال الشعبي في قوله: **(تسع آيات بينات)** قال: "الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات وعصاه ويده"[2].

وقوله تعالى: **(إِنِّي لأظنُّك يا موسى مسحوراً)** ، أي: "مخدوعاً مغلوباً على عقلك فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبيّ ﷺ: **(إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً)**" [الإسراء :٤٧] [3].

وقوله تعالى: **(إِنَّ هذا لساحرٌ عليمٌ)** أي: فاضل بارع في السحر فَرَوَّج على قومه فرعون أنَّ هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيَّجهم وحرَّضهم على مخالفته، والكفر به، فقال: **(يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)** ؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليَّ فيه ماذا أصنع به؟ (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) [الأعراف:١١١-١١٢][4].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ٣٧٢/١

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠١/١٥ .

(٣) السراج المنير ٢٦٧/٢ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ١٣٩/٦ .

٥-العُلو والإسراف، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ* مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ*) [الدخان: ٣٠،٣١] .

قوله تعالى: **(إِنَّـهُ كَـانَ عَالِيـاً مِّـنَ الْمُسْـرِفِينَ)أي:** "كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين، ويجوز أن يكون المراد إنه كان عالياً كقوله: **(إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَـلاَ فِـي لأَرْضِ)** [القصص:٤]، وكان أيضاً مسرفاً ومن إسرافه أنَّه كان على حقارته وخسته"[١] .

٦-الطغيان والإفساد في الأرض:

أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وإرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ليذهب بهم إلى أرض القدس قال موسى عليه السلام لربِّه تعالى: **(اشرح لي صدري)** لأتحمل أعباء الرسالة **(ويسر لي أمري)** أي سهل مهمتي عليَّ وارزقني العون عليها فإنَّها صعبة شاقة، **(واحلل عقدة من لساني)** تلك العقدة التي نشأت بسبب الجمرة التي ألقاها في فمه بتدبير الله عزّ وجلّ حيث عزم فرعون على قتله لما وضعه في حجره يلاعبه فأخذ موسى بلحية فرعون ونتفها فغضب فقالت له آسية إنَّه لا يعقل لصغر سنه وقالت له تختبره بوضع جواهر في طبق وجمر في طست ونقدمهما له فإن أخذ الجواهر فهو عاقل ودونك افعل به ما شئت، وإن أخذ الجمر فهو غير عاقل فلا تحفل به ولا تغتم لفعله، وقدَّم لموسى عليه السلام الطبق والطست فمد يده إلى الطست بتدبير الله تعالى، فأخذ جمرة فكانت سبب هذه العقدة فسأل موسى عليه السلام ربَّه أن يحلَّها من لسانه ليفصح إذا خاطب فرعون ويبين فيفُهم قوله، وبذلك يؤدي رسالته، هذا معنى قوله: **(واحلـل عقـدة مـن لسـان يفقهـوا قـولي)**[٢]

قال تعالى: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاد*فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) [الفجر: ١٠-١٢] .

قوله تعالى: **(وفرعون ذي الأوتاد)**: "لها وجوه **أولها:** أنَّه سُمِّي ذا الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا **وثانيها:** أنه كان يعذب الناس ويشدهم بها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٢٤/١٧ .

(٢) أيسر التفاسير بتصرف ٣٤٦/٣ .

إلى أن يموتوا، روى عن أبي هريرة (أنَّ فرعونَ وتد لامرأته أربعة أوتاد وجعل على صدرها رحا واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء وقالت **(ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة)**، ففرج الله عن بيتها في الجنة فرأته، **وثالثها:** ذي الأوتاد، أي ذي الملك والرجال"[١].

وقوله تعالى: **(الذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيها الفساد)**: "يعني عاداً وثموداً وفرعون عصوا في البلاد "فأكثروا فيها الفساد" يعني أكثروا في الأرض المعاصي"[٢].

وللوقوف على دور سيدنا موسى عليه السلام "فقد ثبَّت اللّهُ تعالى موسى عليه السلام في محاجَّة فرعون ، وآتاه اللّه التوراة هدايةً ورحمةً ، ودمَّر فرعون وقومه الذي نادى في قومه: يا أيها الملأ الأشراف والكبراء ، لم أعلم بوجود إلهٍ غيري ، فإلهُ موسى غير موجود ، فاصنع لي أيها الوزير هامان آجرّا (طيناً مشويًّا بالنار) وابن لي به قصراً عالياً في الفضاء ، حتى أصعد به إلى السماء ، فأشاهد إله موسى الذي يعبده ، توهّما منه بأن الإله جسم مادّي كالبشر ، وإني لأعتقد بأنَّ موسى كاذب في ادِّعائه وجود إله غيري"[٣].

*** ***

المطلب الثاني: تعذيب المسيئين من قوم موسى عليه السلام وهلاكهم.

تعددت أساليب هلاك المسيئين من بني إسرائيل، وهلاك فرعون وكان لها صور عديدة منها:

١-أهلك الله تعالى بني إسرائيل بالصاعقة:

قال تعالى: **(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ...)** [النساء :١٥٣] أي: جاءتهم من السماء نارٌ فأهلكتهم، ثُمَّ أحياهم الله[٤] .

٢-أنَّ الله تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة: قال تعالى: **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ...)** [البقرة :٦١]، "والذلة: الذل والصغار، والمسكنة :

(١) الدر المنثور ٢٢٩/٨ .

(٢) بحر العلوم ٥٥٥/٣ .

(٣) التفسير الوسيط ١٩١٩/٣ .

(٤) انظر صفوة التفاسير ٢٩١/١ .

الفقر، فلا يوجد يهودي وإن كان غنياً خالياً من الفقر وخضوعه ومهانته، وقيل: الذلة فرض الجزية، وقيل: المسكنة الخضوع ، وهي مأخوذة من السكون"[١].

٣-عذَّب الله تعالى آل فرعون بالقحط وقلة الثمرات:

قال تعالى: **(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)** [الأعراف :١٣٠].

"المراد ب «السنين» سنين القحط، والسنة من الأسماء الغالبة كالدّابّة والنجم، ونحو ذلك . أقول: إنَّ دلالة «السنة» على القحط، وصيرورتها من الأسماء الغالبة كالدّابة والنّجم، إنما جاءت في الأصل من الوصف أو الإضافة، كأن يقال: سنة شديدة أو سنة قحط، ثم جرّدت من الوصف أو الإضافة للعلم بها وشيوعها، فصارت «سنة»"[٢].

٤-الطمس على أموال فرعون وأتباعه:

قال تعالى: **(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)** [يونس:٨٨]، "والطَّمسُ على الأموال: هو محقها وهلاكها"[٣].

٥-إرسال الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم:

قال تعالى: **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ)** [الأعراف:١٣٣]. "عذَّبهم بالطوفان أي: المطر الشديد حتى عاموا فيه. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت[٤]، وقيل: المطر الدائم من السبت إلى السبت حتى خربت بنيانهم وانقطعت السبل، وكادت أن تصير مصر بحراً واحداً، فخافوا الغرق فاستغاثوا بموسى عليه السلام"[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٣٠ .

(٢) الموسوعة القرآنية خصائص وسور٣/١٢٧ لجعفر شرف الدين .

(٣) التفسير المنير ٩/٥٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٧

(٥) بحر العلوم ١/٥٥٧ .

"وكذلك الجراد الذي سُمِّيَ بذلك لجرده الأرض من النبات ، يُقال أرض مجرودة أي أكل ما عليها حتى تجردت"[1].

وأمَّا القُمَّل هو غير القَمْل، فالقَمْلُ هو الآفة التي تصيب الإنسان في بدنه وثيابه وتنشأ من قذارة الثياب، أما القُمَّل فقيل هو السوس الذي يصيب الحبوب، ومفردها قُمَّلَة، وقيل هو الحشرات التي تهلك النبات والحرث،... وكذلك يرسل الله عليهم (والضفادع)، وعندما يضع أي إنسان منهم يده في شيء يجد فيها الضفادع؛ فإناء الطعام يرفع عنه الغطاء فترى فيه الضفادع، والمياه التي يشربها يجد فيها الضفادع! (وإن فتح فمه تدخل ضفدعة في الفم) فهي آية ومعجزة، وكذلك (والدم)، فكان كل شيء ينقلب لهم دمًا[2].

*** ***

(١) الموسوعة القرآنية لإبراهيم الإبياري ٣٢١٥/١ .

(٢) انظر تفسير الشعراوي ٤٣٢٠/٧ .

المبحث الرابع

مفهوم الإساءة للنبي محمدﷺ.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إساءة المشركين للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: إساءة اليهود للنبي ﷺ.

المطلب الثالث: إساءة المنافقين للنبي ﷺ.

المطلب الرابع: الأسباب الداعية إلى نشر الإساءة لسيد المرسلين.

المبحث الرابع: مفهوم الإساءة للنبي محمد ﷺ.

الإساءاتُ ضدَّ رسلِ اللهِ وأنبيائِه سنةٌ جاريةٌ على مرِّ الزمن، والعداءُ بين قُوى الشرِّ والطُّغيان، وبين رسل الله الدُّعاة إلى الخير والحقِّ والعدل سُنَّة جارية على كل الأنبياء، قال تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)** [الأنعام:١١٢]، وقال تعالى: **(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ*)**[الذاريات:٥٢-٥٣] .

وقال تعالى: **(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** [يس:٣٠] ، حيث إنَّ الإساءات ضدَّ النبيﷺ والقرآن والإسلام نبوءة قرآنية، قال تعالى: **(وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** [آل عمران:١٨٦].

ولقد تعهَّد اللهُ تعالى بنُصرة نبيه ﷺ ورعايته، ودفع كل إساءةٍ أو افتراءٍ عنه، قال تعالى:**(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** [المائدة:٦٧].

المطلب الأول: إساءة المشركين للنبي ﷺ .

منذ اللحظة الأولى التي أمر اللهُ عزَّ وجلَّ فيها النبيَّ ﷺ أن يجهرَ ويُعلنَ الدعوةَ الإسلاميةَ **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)** [الحجر:٩٤] ، وهو يتعرضُ لأشدِّ أنواع الإيذاء والإفتراء، لذلك سوف نتناول بعضاً من هذه الإساءات التي وقع فيها المشركون، وهي على النحو التالي:

١-إنكار دعوة محمد ﷺ وبعثته: قال تعالى: **(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاق)** [ص: ٧] .

فحين قالوا: لقَّنه الله حجته **(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ)** [الأحقاف :٩] .

٢-أبو لهب وزوجته يُؤذيان النبيﷺ:

عن ابن عباس ﷺ قال: (لمَّا نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبيُّ ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فِهر، يا بني عديّ -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت **(تبت يدا أبي لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وما كسب)**[المسد:١-٢][١].

أمَّا أُمُّ جميل حمالة الحطب زوجة أبي لهب حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول اللّه ﷺ وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها بعض من الحجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ اللّه ببصرها عن رسول اللّه ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر. فقالت : يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه يهجونى، واللّه لو وجدته لضربته[٢].

٣-عدم إتيان الرسول ﷺ بآيات (معجزات كونية) من عند الله كالأنبياء قبله:

أخبر تعالى عن طلب المشركين آية من الله تعالى، فقال:

(لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد: ٧] ، **(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [العنكبوت: ٥٠-٥١].

وهذا طلبُ المتعنت بعدما وضحت لهم آيات الكتاب، وقد أخبر تعالى بقوله: **(قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ)**[الأنعام: ١٠٩]، وبيَّن سبحانه أنَّه

(١) رواه البخاري ٦/ ١١١ ، ح ٤٧٧٠ .

(٢) انظر الموسوعة القرآنية ٦٧/١ .

لا يريدُ من الناس إيماناً قصريًّا، وإنما يريد منهم إيماناً بإرادتهم، قال تعالى: **(إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)**[الشعراء:٤]، أي: "تذكيرٌ من الله لرسوله بأنه لو شاء إلجاء الكافرين إلى الإيمان، لما وجد كافر على وجه الأرض منذ قديم الزمان، فضلا عن بقائه إلى الآن وحتى الآن، لكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون البشر أحرارا في اختياراتهم، مسؤولين وحدهم عن كفرهم وإيمانهم، فلا مجال لإخضاعهم بالقهر والاضطرار، وإنما هي الدعوة والإقناع ثم الاقتناع عن طواعية واختيار"[1].

٤-تعليق الإيمان بما جاء به النبي حتى ينزل عليهم كتاباً من السماء:

(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) [النساء: ١٥٣].

جاء في معنى هذه الآية: أنَّ اليهودَ سألت محمداً ﷺ أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتابا مكتوبا فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة ، كما أتى موسى بالتوراة؛ تعنتاً له ﷺ؛ فأعلم الله عزَّ وجلَّ أن آباءهم قد عنتوا موسى عليه السلام بأكبر من هذا **(فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً)** أي: عياناً[2].

٥-مطالبة الرسول ﷺ بالإتيان بالملائكة لتشهد بصحة ما تقول:

(وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ) [الأنعام:٨] .

يُبيِّنُ سبحانَه أنَّه لو أنزل ملكاً كما اقترحوا لما حصل به مقصودهم، لأنَّه إن أنزله في صورته لم يقدروا على التلقي عنه، إذ البشر لا يقدر على مخاطبة الملك ومباشرته، وقد كان

(١) التيسير في أحاديث التفسير ٣٦٣/٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/٦ .

النبي ﷺ، وهو أقوى الخلق إذا نزل عليه الملكُ كرب لذلك وتحدَّر منه العرق في اليوم الشاتي، وإن جعله في صورة رجل حصل لهم لبس: هل هو رجلٌ أم ملكٌ[1].

٦-النبي أُذُن يصدق ما يُقال له:

(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة:٦١] ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **(كَانَ نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فيجلس إليه فيسمع مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُ حَدِيثَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ)**[2].

٧-ادَّعاء هجر الله عز وجل لنبيه ﷺ وبغضه له:

(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى* وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: ٣-٥] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(لمَّا نزل على النبي ﷺ القرآن، أبطأ عنه جبريل أياماً، فعُيِّر بذلك، فقال المشركون: ودَّعه ربُّه وقلاه، فأنزل الله: (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى)** [الضحى: ٣] [3].

٨-إيذاء النضر بن الحارث للنبي ﷺ:

قال ابن هشام -رحمه الله- في السيرة: النضر بن الحارث كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيها القرآن، وحذَّر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية؛ خَلَفَهُ في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم السنديد، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منِّي، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله فيه: **(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)**(الفرقان:٥-٦)، ونزل فيه: **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)**(القلم:١٥)، ونزل فيه: **(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)**(الجاثية:٧-٨)

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم لابن القيِّم ٢٣٩/١ . .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢٦/٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨٧/٢٤ .

قال ابن هشام: الأفاك الكذاب وفي كتاب الله تعالى: **(أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ*وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)** [الصافات:١٥١-١٥٢][١].

قال ابن إسحاق-رحمه الله-: جلس رسولُ اللهِ ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله حتى أفحمه، تلا عليه وعليهم: **(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ*لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ)**[الأنبياء:٩٨-١٠٠][٢].

٩-أبو جهل يُؤذي النبي ﷺ:

ورد أنَّ أبا جهل بن هشام -قبَّحه الله- قال للنبي ﷺ: **(لتتركن سبَّ آلهتنا أو لنسبنَّ إلهك** الذي تعبد، ونزل قول الله فيه: **(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)** [الأنعام:١٠٨] [٣][٤].

وعن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: كنتُ يومًا في المسجد فأقبل أبو جهل فقال: إنَّ لله عليَّ إن رأيتُ محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه، فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد فعجل قبل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط، فقلت: هذا يوم الشر، فاتزرت ثم اتبعته، فدخل رسول الله ﷺ وهو يقرأ: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ)**[العلق:١-٢]، فلما بلغ شان أبي جهل **(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى)**(العلق:٦-٧)، قال إنسان لأبي جهل:

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٠٣/٢ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤١٧/١٦ ،وسبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام ١٣٠/١ لصالح بن طه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦٦ بتصرف.

(٤) انظر السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لأبي شُهبة ٣٣٣/١ .

يا أبا الحكم هذا محمد رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: ألا ترون ما أرى، والله لقد سد أفق السماء عليَّ[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا)** [2].

١٠-قول المشركين بأنَّ النبي ﷺ شاعر، وساحر، وكاهن، ومجنون:

وذلك من خلال بث الشائعات حول النبي ﷺ حيث إنَّ المشركين بعثوا ستةَ عشر رجلًا إلى عقبات مكة على طريق الناس أيّام الحجّ، على كلِّ عقبة أربعة؛ ليصدُّوا الناس عن رسول الله، وقالوا لهم: من أتاكم يسألكم عن محمد، فليقل بعضكم: هو شاعر، وبعضكم: هو كاهن، وبعضكم: هو مجنون، وبعضكم: هو يتلو علينا أساطير الأولين، وأن لا تروه ولا يراكم خير لكم، فإذا انتهوا إلينا صدقناكم، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث إلى كلِّ أربعةٍ أربعةً من المسلمين؛ ليُكذِّبوهم، ويقولوا: هو يهدي إلى الحقّ، ويأمر بصلة الرحم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فكان الناس يسألونهم: ما هذا الخير الذي يدعوا إليه؟ فكانوا يقولون: **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ)** [النحل:٣٠]، فكانوا يسألون: ما هذه الحسنة؟ فكانوا يقولون: **(جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها...)**[النحل:٣١] [3].

*** ***

(١) انظر السيرة الحلبية ٤٠٩/١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢١٥٤/٤، ٢٧٩٧ .

(٣) انظر درج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور لأبي بكر الجرجاني بتصرف يسير ١٨٤/٢ .

المطلب الثاني: إساءة اليهود للنبي ﷺ.

قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ...) [المائدة: ٨٢]. أجل، إنَّهم أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، ولقد كان هذا شأنهم على مرِّ الأيَّام، وتبدُّل الأحوال، إنَّهم يمكرون بالمسلمين، ضعفاءَ كانوا أم أقوياء، أتتهم القوة على حين غفلة من الأمة المسلمة الكريمة، حيث إنَّ تاريخهم الأسود في العدوان، والدسِّ والافتراء، والغدر والفتك والخيانة يملأ صفحاتِ الكتب، ولقد كانوا أعداءَ هذا الدِّين منذ أن دعا رسول الله ﷺ إليه، فقد خان يهود بني قينقاع العهدَ الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ ثم تبعهم في الخيانة والكيدِ يهودُ بني النضير الذين ائتمروا على قتل رسول الله ﷺ وكذلك فقد نقض يهود بني قريظة عهود المسلمين يوم الخندق، وكان عاقبة أمرهم خسرًا ، وعداوة اليهود للنبي ﷺ لا عجب فيها ، فحالهم مع أنبيائهم، فريقاً كذَّبوا وفريقاً يقتلون، ومن ثمَّ لا غرابة أن يكذِّبوا ويُعادوا ويتطاولُوا على رسول الله ﷺ بل ويحاولوا قتله.

وسوف نتناول بعض الإساءات والعداوات التي وقع فيها اليهود تجاه النبيﷺ:

١-غدر يهود بني النضير:

كان يهود بني النضير ممن عاهداهم النبي ووادعهم على أن يأمن كل فريق الآخر، لكنَّهم لم يفُوا بالعهد وهمُّوا بقتل الرسول، ذلك أن عمرو بن أمية الضمري الذي نجا من سرية القراء لقي أثناء رجوعه إلى المدينة رجلين من بني عامر، فقتلهما وهو يظن أنَّه أصاب بذلك بعض الثأر من بني عامر الذي غدروا بهم، ولم يشعر بعهدهما الذي لهما من رسول الله، فقال له الرسولﷺ: **(لقد قتلت رجلين لأَدِينَّهما)**، وكان بين بني عامر وبني النضير عهد وحلف، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين في جماعة من صحابته منهم أبو بكر وعمر وعلي، فلما جاءهم أظهروا له حسن الاستعداد لإجابته، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة- وكان رسول الله ﷺ جالساً إلى جنب جدار لهم- فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك الشقي عمرو بن جحَّاش فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي الصخرة، فأتى

رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبيّ أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه بالمدينة، فأخبرهم بما كانت اليهود اعتزمته من الغدر بهم، فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إليهم يطلب إليهم الخروج من جواره بالمدينة، وأمهلهم عشرة أيام وإلا حاق بهم الهلاك، فأيقنوا أن الله أطلعه على ما أرادوا وصاروا متحيرين لا يدرون ما يفعلون، وبينما هم في حيرتهم وترددهم جاءهم رسل أهل النفاق ابن أبي وأتباعه أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم: إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فقويت عند ذلك نفوسهم، وحمي حيي بن أخطب، وبعثوا إلى رسول الله أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود وفي ذلك نزل قول الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ* لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ* لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)** [الحشر:١١-١٣][1].

٢-غدر يهود بني قريظة:

كان من بني قريظة يوم الأحزاب الغدر الأكبر، حيث تجمع على المسلمين سائر طوائف الشرك من القبائل العربية، فلما رأى اليهود الضيق والحرج قد استبدَّ بالمسلمين استغلوها فرصة، وأعلنوا نقض العهد والالتحام مع المشركين، وكشف الله تعالى مكرهم، ثم بعد أن انهزم الأحزاب تفرغ لهم رسول الله ﷺ وأدَّب بهم من خلفهم، وكانت نهايتهم أن قتل مقاتليهم وسبيت ذراريهم وأموالهم، وقد نزل في بني قريظة قرآناً عندما حكم فيهم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- قال تعالى: **(وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً)** [الأحزاب:٢٦].

(١) انظر السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة بتصرف ٢/٤٠٠ .

(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ) أي: "عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول اللّه ﷺ **(مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ)** وهم بنوا قريظة، **(مِنْ صَياصِيهِمْ)** أي: "من حصونهم جمع صيصة وهى ما يحصن به"[١].

٣-إساءة الأدب في ردِّ السلام على رسول الله ﷺ:

كان اليهود يُسيئون الأدب مع رسول الله في حضرته وأثناء خطابه ، فكانوا يحيونه بتحية، في باطنها الأذى والحقد عليه ﷺ، مما يدلُّ على خُبثهم وسُوء أخلاقهم وبُغضهم الشديد لرسول الله ﷺ.

فلقد استأذن رهطٌ من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: "**يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**" قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: "قلت: **وعليكم**"[٢] ، "ثُمَّ كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التي إليها يستروحون، وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن الآن نلقى محمدا بهذه الأمور التي تسوؤه ولا يصيبنا سوء، ولا يعاقبنا الله بذلك، ولو كان نبيا لهلكنا بهذه الأقوال، وجهلوا أن أمرهم مؤخر إلى عذاب جهنم، فأخبر الله بذلك وأنها كافيتهم، ونزلت هذه الآية: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالآثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)** [المجادلة٨-١٠] [٣].

٤-تفكيك الجبهة الداخلية للمسلمين:

وذلك من خلال إثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهلية، والدعوات القومية والقبلية، والسعي بالدسيسة للوقيعة بين المسلمين.

---

(١) التفسير المظهري للعثماني ٣٠٨٣/١ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٦/٩، ح٦٩٢٧.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٢٧٧/٥.

قال ابن إسحاق-رحمه الله-: مرَّ شاس بن قيس، وكان شيخاً [يهودياً] قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأي من أُلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فأمر فتي شاباً من يهود كان معه، فقال : اعمد إليهم، فاجلس معهم ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين فتقاولا، وقال أحدهما لصاحبه:

إن شئت رددتها جذعاً أي شابة فتيَّة يعنون الحرب، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا : قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، والظاهرة : الحَرَّة، وهي أرض مستوية بظاهر المدينة، السلاح السلاح، فخرجوا إليها [وكادت تنشب الحرب] ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : **(يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)**، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس[1].

وقد أنزل الله تعالى في شاس بن قبس قرآناً: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [آل عمران ١٠٠-١٠١].

في النهاية: نقول لقد شنَّ اليهودُ على رسول الله ﷺ قديماً وحديثاً حملاتٍ إعلاميةٍ لتشويه صورته، وتنفير الناس منه ومن دينه ودعوته، لشعورهم بخطورة هذا الدين على مصالحهم، وعلى عقيدتهم المنحرفة القائمة على الاستعلاء واحتقار الناس عدا الجنس

(١) انظر الرحيق المختوم للمباركفوري ١٩٩/١ بتصرف يسير .

اليهودي، فقد جاء رسول الله ﷺ ينادي بعقيدة التوحيد وهم يقولون عزير ابن الله، وجاء ينادي بالمساواة، وهم يرون أنَّهم شعبُ الله المختار، ومن ثم كثرت مواقفهم ومؤامراتهم الخبيثة، لمحاولة قتل النبيﷺ، والقضاء على الإسلام في مهده الأول في المدينة المنورة ... هذه المؤامرات تتكرر بين الحين والحين، وتتغير أشكالها بتغير الزمان والمكان، لكنها لا تتوقف، ولن تتوقف، فقد أوضح الله تعالى للمسلمين أن عداوة اليهود لهم أبدية، لا تقبل التغيير، ولا تتحول إلى المسالمة والمحبة إلا إذا ارتد المسلمون عن دينهم، قال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم) [البقرة:١٢٠].

*** ***

المطلب الثالث: إساءة المنافقين للنبيﷺ.

١-الإستهزاءُ بدينِ اللهِ تعالى ورسوله ﷺ:

عن عبدالله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- قال : **(قال رجلٌ في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغبُ بطوناً، ولا أكذبُ ألسنةً، ولا أجبنُ عند اللقاء فقال رجلٌ: كذبت ولكنَّك منافق لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺونزل القرآن قال عبدالله : فأنا رأيتُ الرجلَ متعلقاً بحقبِ ناقة رسول الله ﷺوالحجارة تنكيه وهو يقول : يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب ورسول الله يقول: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون)**[1].

وجاء في قوله تعالى: **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)** [التوبة:٦٥]، قال قتادة: بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله: اجلسوا على الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا ؟ فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٤٣/١١ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ١٦٩/١ .

٢- إيذاءُ النبي ﷺ والمؤمنين ومحاولة اغتياله:

لقد نزل في هؤلاء المنافقين قولُ الله تعالى: **(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)** [التوبة:٧٤]، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **(سَمِعَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَجُلا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ: وَالنَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ لَئِنْ كَانَ هَذَا صَادِقًا، لَنَحْنُ أَشَرُّ مِنَ الْحَمِيرِ ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَحَدَ الْقَائِلُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ)**[(١)].

وفي رواية أخرى: "خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا أهلَ النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم، فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيباً لهم"[(٢)].

٣- محاربة النبيﷺ ببناء مسجد الضرار:

حاول المنافقون أن يضفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسبابٍ مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسولﷺ الصلاة في هذا البناء ليكون مسجدًا قد باركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم الماكرة، وقد أطلعه الله -عز وجل- على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلَّى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه؛ لأن رسول الله ﷺ صلَّى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات لذلك، أمر محمدﷺ بهدم المسجد وكذا أي عمل يُراد منه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٤٢/٦ .

(٢) أسباب النزول للواحدي ١٦٩/١ .

الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فكلُّ مسجدٍ بُني على ضرار أو رياء وسُمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه.

وقد ذكر السعديُّ ذلك في تفسير قولـه تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ*لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ*أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ*لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة:١٠٧-١١٠] .

قال: كان أناسٌ من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرَّهم فقال: **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا)** أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه **(وَكُفْرًا)** أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان، **(وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ)** أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، **(وَإِرْصَادًا)** أي: إعداداً **(لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ)** أي: إعانةً للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدَّم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله ﷺ، فلمَّا لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد هو والمنافقون، فكان مما أعدُّوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي ﷺمن يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد: **(وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا)** في بنائنا إياه **(إِلا الْحُسْنَى)** أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير، **(وَاللَّهُ يَشْهَدُ**

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم، **(لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا)** أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضرارا أبدا. فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه[1].

٤-اتهامُ النبي ﷺ في عرضه:

حاول المنافقون الطعن في عرض النبي ﷺ بالافتراء على عائشة -رضي الله عنها- بما يُعرف في كتب السيرة بحادثة الإفك، والذي كان القصد منها النيل منه ﷺ ومن أهل بيته الأطهار، لإحداث الاضطراب والخلل في المجتمع الإسلامي، بعد أن فشلوا في إثارة النعرة الجاهلية، لإيقاع الخلاف والفرقة بين المسلمين.

فقد أخرج البخاري في الصحيح حديث الإفك.. وملخص القصة: أنَّ المنافقين استغلوا حادثة وقعت لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- في طريق العودة من غزوة بني المصطلق، حين نزلت من هودجها لبعض شأنها، فلما عادت افتقدت عقداً لها، فرجعت تبحث عنه، وحمل الرجال الهودج ووضعوه على البعير وهم يحسبون أنها فيه، وحين عادت لم تجد الرَكْب، فمكثت مكانها تنتظر أن يعودوا إليها بعد أن يكتشفوا غيابها، وصادف أن مر بها أحد أفاضل أصحاب النبي ﷺ وهو صفوان بن المعطل السلمي -رضي الله عنه-، فحملها على بعيره، وأوصلها إلى المدينة.. فاستغل المنافقون هذا الحادث، ونسجوا حوله الإشاعات الباطلة، وتولَّى ذلك عبد الله بن أُبي بن سلول، وأوقع في الكلام معه ثلاثة من المسلمين، هم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمنة بنت جحش .. فاتُّهِمت أُمِّ المؤمنين عائشة بالإفك.. وقد أُوذي النبي ﷺ بما كان يقال إيذاءً شديداً، وصرَّح بذلك للمسلمين في المسجد، حيث أعلن ثقته التامة بزوجته وبالصحابي ابن المعطل السلمي ، وحين أبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من تسبب في ذلك إن كان من الأوس، أظهر سعد بن عبادة معارضته بسبب كون عبد الله بن أبي بن سلول من قبيلته، ولولا تدخل النبيﷺ وتهدئته للصحابة من الفريقين لوقعت الفتنة بين الأوس والخزرج .. ومرضت عائشة - رضي الله عنها- بتأثير تلك

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ٣٥١/١ .

الإشاعة الكاذبة، فاستأذنت النبي ﷺ في الانتقال إلى بيت أبيها، وانقطع الوحي شهراً، عانى الرسول ﷺ خلاله كثيراً، حيث طعنه المنافقون في عِرضه وآذوه في زوجته، ثم نزل الوحي من الله موضحاً ومُبرِّئاً عائشة -رضي الله عنها-: **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ* وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ*وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ*وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)** [النور: ١-٢٠] (١).

٥-الطعنُ في عِزَّة النبي ﷺ:

جاء عن جابر بن عبدالله ﷺ يقول: **(كُنَّا في غزاة فكسع (أي ضرب) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمَّعها اللهُ رسولَه ﷺ قال: «ما هذا؟» فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبيﷺ: (دعوها فإنها منتنة) قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبيﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أُبي: أوقد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال**

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/١٠١، ح٤٧٥٠.

عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبيﷺ: **(دعه لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه)**[1].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: **(خَرَجْتُ مَعَ عَمِّي فِي غَزَاةٍ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَهُ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا: فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، وَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَتَكَ قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) [المنافقون: ١] قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ صَدَّقَكَ)**[2].

*** ***

المطلب الرابع: الأسباب الداعية إلى نشر الإساءة إلى سيد المرسلين.

لم يسلم النبيُّ ﷺ من ألسنةِ المشركين، ولا من خُبثِ المنافقين، ولا من مكرِ اليهودِ الحاقدين، وكلُّ ذلك كان له أسبابٌ دعت إلى هذه الكراهية والعداوة والإساءة العمياء ضدَّ سيِّد الأنبياء محمد ﷺ، وأسبابُ هذه الإساءة كثيرة منها ما يلي:

١-الجهلُ بحقيقة النبي ﷺ: قال تعالى: (...وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ*)[الأنعام:١١١،١١٢].

"**أي:** يجهلون الحق، وقيل: يجهلون أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آيةً واحدةً"[3].

---

(١) رواه البخاري ١٥٤/٦، ح ٤٩٠٧، ومسلم ١٩٩٨/٤ ، ح ٢٥٨٤ ، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٨٢/٣٢، ح١٩٣٣٣، واسناده صحيح على شرط الشيخين، وانظر أصول في التفسير لمحمد بن صالح العثيمين١٢/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٧/٧.

٢-العداوة الصريحة للنبي ﷺ: قال تعالى: (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [القلم:٥١].

"حذَّرَ اللَّهُ تعالى نبيَّه من عداوة المشركين ، وترك المبالاة بحسدهم ، فإنَّهم ، أي الكفار يكادون يجعلونك بأبصارهم تزلق ، وتهلك ، لما سمعوا القرآن ، وقولهم عنك :
إنك مجنون، تنفيراً عنك ، وتحييراً في شأنك، والمعنى: أنَّهم وصفوه بالجنون لأجل القرآن،
وما القرآنُ في الواقع إلا خير وبركة، وموعظة وتذكير للجن والإنس، فلا يتحمله إلا من كان أهلا له من العقلاء"(١).

٣-حبُّ الشهرة:

"وكان ذلك بمطالبة المشركين بالنُّبوة ولكنَّ النُّبوة أو الرِّسالة إنما تُمنح لمن هو مأمون عليها وموضع لها، وأقدر على تحمَّل أعبائَها، وليست هي مثل مناصب الدنيا التي تعتمد على الشهرة والنفوذ، والسلطة والجاه أو المال، أو النَّسب ، أو كثرة الأعوان والأولاد، ولقد استبدَّ الغرور والشَّطط بمشركي مكة، فأرادوا أن تكون لهم النُّبوة والرسالة، وأن يكونوا متبوعين سادة، لا تابعين، **(وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)** [الزخرف:٣١]، أي مكة والطائف ، الوليد بن المغيرة من مكة أو عروة بن مسعود الثقفي من الطائف، وذلك حسداً منهم، وغروراً، وظنًّا منهم أن الرِّسالة الإلهية كمراكز الدنيا تعتمد على المال أو السلطة".

قال اللَّهُ تعالى مُنددِّاً بهذه المطامع والآمال:**(وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ* فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)** [الأنعام:١٢٤،١٢٥](٢).

*** ***

(١) التفسير الوسيط ٣/٢٧١٩.

(٢) انظر المرجع السابق ١/٦٠٣.

الفصل الخامس

وسائل علاج الإساءة في ضوء القرآن الكريم.

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: علاج القرآن الكريم للإساءة بكظم الغيظ.

المبحث الثاني: علاج القرآن الكريم للإساءة بالعفو عن الناس.

المبحث الثالث: علاج القرآن الكريم للإساءة بالصفح عن الناس.

المبحث الرابع: علاج القرآن الكريم للإساءة بالمغفرة للناس.

المبحث الخامس: علاج القرآن الكريم للإساءة بالإحسان إلى الناس.

المبحث الأول

علاج القرآن الكريم للإساءة بكظم الغيظ.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف كظم الغيظ لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب كظم الغيظ وفضله.

المطلب الأول: تعريف كظم الغيظ لغةً واصطلاحًا.

كظم الغيظ لغةً: "(كظم) الكاف والظاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على معنىً واحد، وهو الإمساك والجمعُ للشَّيء، من ذلك الكَظْم: اجتراع الغَيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنَّه يجمعه الكاظمُ في جوفه. قال الله تعالى: **(وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ)** [آل عمران: ١٣٤]، والكُظُوم: السُّكوت"(١)، "والكظم مخرج النفس... وكظم الغيظ حبسه"(٢).

(غيظ): "الغين والياء والظاء أُصَيلٌ فيه كلمةٌ واحدة، يدلُّ على كَرْبٍ يلحقُ الإنسانَ مِن غيره. يقال: غاظَني يَغِيظُني. وقد غِظْتَني يا هذا"(٣)، "والغيظ: الغضب، وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل: هو أشد من الغضب وقيل: هو أوله"(٤).

كظم الغيظ اصطلاحاً: "هو توقد حرارة القلب من الغضب(٥)،وهو أن يُمسك على ما في نفسه من الغيظ بالصبر ولا يُظهر له أثراً"(٦).

*** ***

المطلب الثاني: ثواب كظم الغيظ وفضله.

وجَّه اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين لضرورة التحلِّي بالصبر وكظم الغيظ، بل والدفع بالتي هي أحسن: **(وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)** [فصلت:٣٤-٣٥]. لذلك ما أحوجنا إلى هذا الخلق العظيم لتقوى الروابط وتتآلف القلوب، ويُبنى ما تهدم من الروابط الاجتماعية، ولننال رضى الله وجنته: **(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ**

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٨٤/٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن ٧١٢/١.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤٠٥/٤.

(٤) لسان العرب ٤٥٠/٧.

(٥) تفسير النسفي لأبي البركات النسفي ١٨١/١.

(٦) انظر الكشاف للزمخشري ٤٤٣/١.

عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، لذلك فقد وضع الحقُّ منهجَ الارتقاءِ بعد أن أعطى المؤمنَ الحقَّ في توقيعِ العقابِ قصاصاً، ولو أراد سبحانه ذلك لما خلق هذا الطبع إنَّه سبحانه يُوضِّحُ لنا أنَّ هناك انفعالاً بالغيظ، وأنَّ المؤمنَ عليه أن يحاول كظم الغيظ أي لا يُعبِّرُ عن غيظه، فإن أخرج المؤمنُ هذا الأمرَ من قلبه فمعناه أنَّه قد برئ وشُفِيَ منه وارتقى، إذن فكظم الغيظ هو ألَّا يعبرَ المؤمنَ عن غيظه، فإن سبّك أحدٌ فأنت لا تسبّه، وهذا الكظم يعني كتمان الانفعال في القلب، فإذا ارتقى المؤمنُ أكثر وتجاهل حتى الإنفعال بذلك، فإنه يُخرج الغيظ من قلبه، وهو بذلك يرتقي ارتقاءً أعلى، ويصفه الحقُّ بأنَّه دخول إلى مرتبة الإحسان، فهو القائل: **(والله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)** وهكذا يحسن المؤمن إلى المسبب للغيظ بكلمة طيبة(١).

وقوله: **(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ)** أي: "إذا ثار بهم الغيظ كظموه، بمعنى: كتموه فلم يعملوه، وعَفَوْا مع ذلك عمن أساء إليهم"(٢)، وقد ورد في بعض الآثار: يقول الله تعالى: **(ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ أَذْكُرُكَ إِذَا غَضِبْتُ، فَلا أُمْحِقُكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ، وَإِذَا ظُلِمْتَ فَاصْبِرْ، وَارْضَ بِنُصْرَتِي فَإِنَّ نَصْرِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ نُصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ)**(٣).

إنَّ لكظم الغيظ فضائل عظيمة؛ تجعلنا نشعر بعظمة الدين الإسلامي، وخاصةً في المعاملات والسلوكيات، ومن هذه الفضائل ما يلي:

١- إنَّ كظمَ الغيظِ من سمات المتقين الذين بلغوا درجةً عاليةً من العبادة، فأعدَّ اللهُ تعالى لهم الأجرَ العظيمَ، فقد جاء في معنى قوله تعالى: **(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ)** قَولُ النبيﷺ: **(مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ**

(١) انظر تفسير الشعراوي٣/١٧١٧ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/١١٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٩٦٥ .

الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ)[1] وجاء أيضاً في معنى الآية: عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)**[2].

٢- إنَّ كظمَ الغيظِ، والإعراضَ عن الجاهلين من الصفات الدعوية التي تُميِّز الداعية، والأمير، والمسؤول عن غيره من الناس، قال تعالى: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)** [الأعراف: ١٩٩].

قال جعفر الصادق ﷺ: "ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"[3]، وعن عائشة -رضي الله عنها- أنَّها قالت: "**لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح**" [4].

وجاء عن ابن عباس ﷺ أنَّه قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إنَّ اللهَ تعالى قال لنبيه ﷺ: **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله"[5].

---

(١) رواه أبو داود في سننه ٢٤٨/٤، ح ٤٧٧٧، وابن ماجة في سننه ١٤٠٠/٢، ح ٤١٨٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٠/٣، ح٢٧٥٣.

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ١٤٠١/٢، ح ٤١٨٩، وصححه الألباني في صحيح الرغيب والترهيب ٣٠/٣ ، ح ٢٧٥٢ .

(٣) التفسير المنير٤٣٣/١ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ١٣١/٤٣، ح ٢٥٩٩٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٧٧/١، ح ٢٨٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٦٠/٦، ح ٤٦٤٢ .

٣- إنِّ كظم الغيظ، وعدم الغضب للنفس من صفات عباد الرحمن الذين ذكرهم في سورة الفرقان، فقد قال سبحانه: **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً)** [الفرقان: ٦٣] .

ولذلك جاء في سبب نزول هذه الآية "أنَّها نزلت في شأن أبي بكر-ﷺ- سبَّه رجلٌ عند رسول الله ﷺ فأمر اللهُ تعالى بالكفِّ عنه، ويُقال: نزلت في شأن عمر-ﷺ- كان بينه وبين كافرٍ كلام"(١).

يتبيَّنُ من هذا المعنى أنَّ كظمَ المؤمن لغيظه حتى إن تعرَّض للسبِّ والشتم والإيذاء من الأخلاق الحميدة التي افتتح الله تعالى بها صفات عباد الرحمن، لذلك هم ليسوا ضعفاء فلم يردُّوا، أو مرضى فلم يقدروا، إنَّما هم قلوبهم صحيحة، وألسنتهم فصيحة، تعلَّقُوا بالآخرة وتركوا الدنيا فكظموا غيظهم، ولم يغضبوا لأنفسهم.

وسلَّم اللهُ تعالى لسانَ الحسن عندما قال: "إنَّ المؤمنين قومٌ ذُلَل، ذلَّت والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: **(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عنَّا الْحَزَنَ)** [فاطر: ٣٤] ، والحزن: والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وأنَّه من لا يتعزَّ بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمةً إلا في مطعمٍ أو مشربٍ، فقد قلَّ علمُه، وحضر عذابُه"(٢).

*** ***

(١) بحر العلوم ٣١٦/٢ .

(٢) جامع البيان ٣٧٧/١٩ .

المبحث الثاني

علاج القرآن الكريم للإساءة بالعفو عن الناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف العفو لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب العفو عن الناس ومنزلته.

المطلب الأول: تعريف العفو لغةً واصطلاحًا.

العفو لغةً: "العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلُّ أحدهما على تركِ الشيء، والآخر على طَلَبِه[١]، "وهو المَحْوُ، وقيلَ : ومنه عَفا اللّهُ عنْكَ أَي مَحا، ومنه عَفَتِ الرِّياحُ الأَثَرَ ، أَي: دَرَسَتْه ومَحَتْه"[٢]، "وأصلُ العفوِ في اللُّغة الزِّيادة ، قال الله تعالى : **(خُذِ الْعَفْوَ)** أي : الزِّيادة"[٣]، وقيل: "العفو هو الكثرة والفضل، قال الله تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)**"[٤].

العفو اصطلاحاً: "هو التَّجاوزُ عن الذَّنْب وتركُ العِقَاب عليه"[٥]، وقيل: "العفو: إسقاط العذاب"[٦].

*** ***

المطلب الثاني: ثواب العفو عن الناس ومنزلته.

العفو صفة من صفات الله تعالى، فهو الذي يعفو عن عباده السيئات، ويغفر لهم الذنوب والزلات، والنبي الكريم ﷺ أمر بالعفو، وضرب لنا أمثلةً رائعة في قمة العفو والتسامح، وقد أثبت العلم الحديث أنَّ الذي يمارس هذا العمل (العفو) تقلُّ أمراضه، ويصبحُ عنده جهاز مناعة قوي، لذلك كان من أكثر دعاء النبي ﷺ وبخاصة في ليالي رمضان وليلة القدر: "اللهم إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي"[٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥٦/٤.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض الحسيني ٦٨/٣٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٤٠/٤.

(٤) زاد المسير ٢٤٢/١.

(٥) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٥٢٤/٣.

(٦) الفروق اللغوية ٣٦٣/١.

(٧) رواه أحمد في مسنده ٢٣٦/٤٢، ح ٢٥٣٨٤، والنسائي في سننه ١٤٦/٧، ح ٧٦٦٥، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ١٠٠٨/٧، ح ٣٣٣٧ .

والله تعالى لا يُحبُّ شيئاً إلا وفيه الخير لنا، فهو عفوٌّ يُحبُ العفوَ، ولذلك فهذه الصفة لابُدَّ أن تأتي بالخير على من يتحلَّى بها، والله تعالى أعطى عباده الأمل بالعفو عن الذنوب: يقول تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)** [الشورى: ٢٥].

وللعفو عن الناس ثوابٌ عظيمٌ، ومنزلةٌ عاليةٌ عند الله تعالى، سنتناول منها ما يلي:

١- إنَّ العفوَ عن الناس وصيةٌ ربَّانيةٌ: حثنا الله تعالى في كتابه العزيز على العفو عن المخطئين، وذلك في مواضع عديدة، وسوف نذكر بعضها فيما يلي:

قال الله تعالى: **(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)** **[النساء:١٤٩]**. قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "(إن تُظهروا – أيُّها الناس – خَيْراً من طاعةٍ، وبرٍّ، وقولٍ حسنٍ، وفعلٍ حسنٍ ، أو تُخْفُوهُ أي: تخفوا هذا الخير بأنْ تعملوه سراً أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ بأن تصفحوا عمن أساء إليكم ، يُكافئكم اللّه – تعالى– على ذلك مكافأةً حسنةً ، ويتجاوز عن خطاياكم ، **(فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً)** أي: كثير العفو عن العصاة مع كمال قدرته على مؤاخذتهم ومعاقبتهم فاقتدوا بهذه الصفات الحميدة لتنالوا محبة اللّه ورضاه)"[(١)].

وقال سبحانه: **(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** [الشورى:٤٠]، قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: "فمن عفا عمن أساء إليه، إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر، ابتغاء وجه الله؛ فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه)"[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن االعظيم ٤٤٤/٢ .

(٢) جامع البيان ٥٢٦/٢٠ .

وقال سبحانه لنبيه: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)**[الأعراف:١٩٩]، قال ابن جرير: "خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم، وقد أُمر بذلك نبيُّ الله في المشركين"(١).

٢- جعل اللهُ تعالى العفوَ عن الناس أقربَ إلى التقوى، فقال سبحانه: **(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [البقرة :٢٣٧] .

وقد ذكر الشعراوي في تفسيره حديثاً جميلاً في معنى هذه الآية، وهو ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أمرني ربِّي بتسع: خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصِلَ من قطعني، وأُعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبراً**" (٢)(٣).

٣- إنَّ العافين عن الناس ثوابُهم رضا الله تعالى، ودخول الجنَّة، كما قال سبحانه: **(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ*)** [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٤- العفو عظيم الأجر والثواب لمن عمل به، قال تعالى: **(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** [الشورى: ٤٠]، وقد ضرب لنا النبيُّ ﷺ مثالاً يُحتذى به في العفو، والتسامح والأخلاق، فعن أنس ﷺ قال: **(كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم**

---

(١) جامع البيان ٦٤٢/١٠ .

(٢) جامع الأصول لابن الأثير ٦٨٧/١١، ح ٩٣١٧ ، وحسَّنه ابن الأثير.

(٣) تفسير الشعراوي ٢٧٢/١ .

قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء) [1].

٥- العفو طريق المغفرة، قال تعالى:**(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [النور: ٢٢]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: كأنِّي أنظرُ إلى النبي ﷺ، يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومُه فأدموه، وهو يمسحُ الدَّمَ عن وجهه ويقول: **(اللهُمَّ اغْفِرْ لقَومِي فإنَّهم لا يَعْلَمُون)** [2].

*** ***

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١٤٦/٧، ح ٥٨٠٩، ومسلم في صحيحه ٧٣٠/٢، ح ١٠٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٧٥/٤، ح٣٤٧٧.

المبحث الثالث

علاج القرآن الكريم للإساءة بالصفح عن الناس.

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: تعريف الصفح لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب الصفح عن الناس وفضله.

المطلب الأول: تعريف الصفح لغةً واصطلاحًا.

الصفح لغةً: "(صفح) الصاد والفاء والحاء أصلٌ صحيحٌ مطَّرد يدلُّ على عَرْض[١]، وصفح الشيء عرضه وجانبه كصفحة الوجه وصفحة السيف وصفحة الحجر، والصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو؛ ولذلك قال:**(فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره)**، وقد يعفوا الإنسان ولا يصفح قال: **(فاصفح عنهم وقل سلام)** – **(فاصفح الصفح الجميل)** – **(أفنضرب عنكم الذكر صفحا)** وصفحت عنه أوليته منى صفحة جميلة معرضا عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً عنه، أو تجاوزت الصفحة التي أثبت فيها ذنبه[٢]، وقيل الصفح: هو العفو والجانب"[٣].

"والصفح أصله أن تنحرف عن الشيء فتوليه صفحة وجهك أي ناحيته كذلك الإعراض وهو أن تولي الشيء عرضك أي جانبك ولا تقبل عليه"[٤].

الصفح اصطلاحاً: "هو إزالة أثر الذنب من النفس، أو الإعراض عن المذنب بصفحة الوجه، وهو يشمل ترك العقاب وترك اللوم والتثريب"[٥].

*** ***

المطلب الثاني: ثواب الصفح عن الناس وفضله.

إنَّ الدينَ الإسلاميَّ دينٌ كامل ومتكامل؛ أنزله الله تعالى ليسعد الخلق؛ فشرع الشرائع التي تضبط العلاقة بين العبد وربه؛ وكذا العلائق التي تكون بين البشر بعضهم ببعض؛ فكانت الأخلاق السامية؛ والفضائل العالية التي جاء بها الإسلام هي من أسمى الأخلاق التي عرفتها البشرية نبلاً وكرماً وسماحةً.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٩٣/٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن ٢٨٢/١.

(٣) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ٥١٦/١ .

(٤) الكليات ١٨/١ .

(٥) التفسير المنير ٢٦٩/١ .

وإنَّ من بين الأخلاق الكريمة التي جاء بها الإسلام: خلق الصفح، والصفح ترك المؤاخذة، وتصفية القلب ظاهراً وباطناً، ولقد دعا الله جل وعلا إلى الصفح ووصفه بالجميل، فقال سبحانه وتعالى: **(فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)** [الحجر:٨٥]، وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لا عِتَابَ مَعَه.

وقد جاء الأمر بالصفح في عدة مواضع من القرآن الكريم مقروناً بالعفو في بعضها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بالصفح عن مناوئيه.

قال تعالى: **(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [المائدة: ١٣] .

وقال تعالى: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الجَمِيلَ)** [الحجر:٨٥].

وقال تعالى: **(فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** [الزخرف:٨٩].

قال السعديُّ في تفسيره: "أي اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابلُ به أولو الألباب والبصائر الجاهلين" [(١)].

وقد تمثَّل النبيُّ ﷺ بهذا الخلق الكريم أيما تمثل؛ بل كان ﷺ موصوفاً بالصفح والتجاوز؛ كما روى الإمام أحمد وغيره وأصله في الصحيح أنَّ عائشة رضي الله عنها لمّا سُئِلَت عن خلُق رسولِ الله ﷺ فقالت: **(لم يكن فاحِشًا ولا متفحِّشًا ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجزِي بالسيِّئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)**[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/٧٧٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤٣/١٩٩، ح ٢٦٠٩١، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٥/١٣٠ ، ح ٢٠٩٥ .

وقد أعجبتنني أبيات شعرية ذكرها القرطبي في تفسيره:

"سَأُلْزِمُ نَفْسِيَ الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ* وَإِنْ كَثُـرَتْ مِنْـهُ إِلَـيَّ الْجَرَائِـمُ**

فَمَـا النَّاسُ إِلَّا وَاحِـدٌ مِـنْ ثَلَاثَـةٍ * شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ**

فَأَمَّـا الَّـذِي فَوْقِـي فَـأَعْرِفُ قَدْرَهُ * وَأَتْبَـعُ فِيهِ الْحَـقَّ وَالْحَـقُّ لَازِمُ**

وَأَمَّـا الَّذِي دُونِي فَأَحْـلُمُ دَائِـبًا * أَصُونُ بِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ**

وَأَمَّـا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا * تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمُ"(١).**

*** ***

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/١٥.

المبحث الرابع

علاج القرآن الكريم للإساءة بالمغفرة للناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المغفرة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب المغفرة للناس ومنزلتها.

المطلب الأول: تعريف المغفرة لغةً واصطلاحًا.

المغفرة لغةً: "(غفر) الغين والفاء والراء عُظْمُ بابِه السَّتْر، ثم يشِذُّ عنه ما يُذكر، فالغَفْر: السَّتر. والغُفْران والغَفْرُ بمعنَىً. يُقال: غَفَر الله ذنبه غَفْرًا ومَغفِرةً وغُفرانًا"(١).

والمغفرة: "هي إسقاط العذاب الروحاني، وهي تغطية الذنب بإيجاب المثوبة(٢)، وأصل الغفر التغطية والستر غفر الله ذنوبه أي سترها"(٣).

المغفرة اصطلاحاً: "ستر الجُرم صونًا عن عذاب التخجيل والفضيحة(٤)، وقيل: أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته"(٥).

المطلب الثاني: ثواب المغفرة للناس ومنزلتها.

إنَّ المغفرة للناس من الوسائل العلاجية التي يمتاز بها المؤمن، وتجعله قريباً من الله تعالى، حيث إنَّ للمغفرة منزلة عظيمة تجعل صاحبها يصل إلى درجة الإحسان، وهو الذي يُقابل الإساءة بالإحسان، وينال مغفرة الله تعالى، وقد وردت آياتٌ تدلُّ على ثواب المغفرة للناس، وهي على النحو التالي:

١- قال تعالى: **(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [النور:٢٢] .

قال ابن كثير: "هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح ابن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما أنزل الله براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحدُّ على مَن أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨٥.

(٢) الفروق اللغوية ١/٣٦٣ .

(٣) لسان العرب ٥/٢٥ .

(٤) الكليات ١/١٠٠١.

(٥) التعريفات ١/٢٨٦.

مِسْطَح بن أثاثة، فإنَّه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحدَّ عليها. وكان الصديق ﷺ معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: **(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** أي: فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنَّا نحبُّ –يا ربنا –أن تغفر لنا، ثمَّ رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصديق هو الصديق ﷺ وعن بنته"[(١)][(٢)].

ويتبيَّنُ من قصة أبكرٍ الصدِّيق ﷺ أنَّ المغفرة للناس سببٌ في مغفرة الله تعالى، وأنَّه من غفر للناس غفر اللهُ تعالى له، وهذا ما فعله الصدِّيق ﷺ مع مِسْطَح بن أثاثة، لكي ينال مغفرة الله تعالى، فإنَّ الجزاء من جنس العمل .

٢– قال تعالى: **(قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** [يوسف:٩٢].

هذه الآية نزلت في نبيِّ اللهِ يوسف –عليه السلام– عندما قال لإخوته لا تثريب عليكم، أي: "لا تعيير عليكم اليوم ولا عيب ولا عار عليكم وأصل التثريب الإفساد، ويُقال: ثرب الأمر علينا إذا أفسد، ثم قال: يغفر الله لكم فيما فعلتم وهو أرحم الراحمين" [(٣)].

تضمَّنت هذه الآيةُ كلَّ وسائل علاج الإساءة لسيدنا يوسف –عليه السلام– من كظمٍ للغيظ، وعفوٍ، وصفحٍ، ومغفرةٍ، لذلك كان من المحسنين كما قال ربُّنا في أواخر السورة: **(إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** [يوسف:٩٠].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ١٠٧/٦، ح ٤٧٥٧ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٣١/٦ .

(٣) بحر العلوم ٢٠٩/٢.

وقد ظهرت مغفرة يوسف عليه السلام لإخوته من خلال ستره لجُرمهم خشية الفضيحة، وكذلك عفوه عنهم الذي يُعتبر من ضمن المغفرة لهم، حيث دعا لهم بأن يغفر الله تعالى لهم.

٣- قال تعالى: **(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْآثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)** [الشورى:٣٧]، أي: "قد تخلَّقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحدٌ بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتَّب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيءٌ كثيرٌ" (١).

قيل: "نزلت في عمر حين شتم بمكة، وقيل : في أبي بكرٍ حين لامَهُ الناسُ على إنفاق ماله كله وحين شتم فحلم، وعن علي رضي الله عنه قال : اجتمع لأبي بكر مال مرة ، فتصدق به كله في سبيل الخير؛ فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت : **(فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** – إلى قوله **(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)**" [الشورى: ٣٧] وقال ابن عباس رضي الله عنه: "شتم رجلٌ من المشركين أبا بكر فلم يرد عليه شيئا ؛ فنزلت الآية، وهذه من محاسن الأخلاق؛ يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم؛ يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه"(٢).

*** ***

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٥٩/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٦ .

المبحث الخامس

علاج القرآن الكريم للإساءة بالإحسان إلى الناس.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الإحسان لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: ثواب الإحسان إلى الناس ومنزلته.

المطلب الأول: تعريف الإحسان لغةً واصطلاحًا.

الإحسان لغةً: "الإحْسَان ضِدُّ الإساءة، وهو مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن"[١].

الإحسان اصطلاحاً: "الإحْسَان نوعان:

١- **إحسان في عبادة الخالق:** بأن يعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها.

٢- **إحسانٌ في حقوق الخَلْق:** هو بذل جميع المنافع مِن أي نوعٍ كان، لأي مخلوق يكون، ولكنَّه يتفاوت بتفاوت المحْسَن إليهم، وحقِّهم ومقامهم، وبحسب الإحْسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحْسِن وإخلاصه، والسَّبب الدَّاعي له إلى ذلك".

وقال الراغب: "الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا"[٢].

*** ***

المطلب الثاني: ثواب الإحسان إلى الناس ومنزلته.

إنَّ الإحسانَ أعلى مراتب العبادة، وهو طريقٌ يُوصلُ صاحبه إلى درجة التقوى، ولذلك فإنَّ الله تعالى كتب الإحسان على كلِّ شيء، كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..."[٣]، وقد أمر اللهُ-تعالى-بالإحسان أمراً مطلقاً عامَّاً، فقال سبحانه:(**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [البقرة:١٩٥] ، وقال أيضاً: **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [النحل:٩٠] .

---

(١) الفروق اللغوية١/٨١ .

(٢) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ١/٢٠٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٣/١٥٤٨، ح ١٩٥٥ .

وأمر بالإحسان مُقيّداً مُفصلاً، فأمر بالإحسان إلى الوالدين، وأمر بالإحسانِ إلى الأقرباء وإلى الجار والفقراءِ والضعفاءِ، وبالإحسان إلى المنكوبين بكوارثَ كونيّة أو عدوّ نازل، وبالإحسان إلى اليتامى وغيرهم .

وأجمعُ الآياتِ في كتابِ اللهِ–تعالى–التي تأمرُ بالإحسانِ إلى النَّفس والإحسان إلى الخلقِ قوله تعالى: **(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)** [النساء:٣٦] .

وللإحسان ثوابٌ عظيمٌ، وثمراتٌ يجنوها المُحسنُ في الدنيا والآخرة، فأمَّا ثمرات الإحسان في الدنيا فمنها:

١- **محبة الله تعالى: (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [البقرة:١٩٥] .

٢- **الانتفاع بالقرآن الكريم: (الم* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ*هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ*)** [لقمان:١-٣].

٣- **رحمة الله تعالى بهم: (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)** [الأعراف:٥٦] .

٤- **التأييد والنصر من الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)** [النحل:١٢٨].

٥- **العلم والحكمة: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** [يوسف:٢٢].

وأمَّا ثمرات الإحسان في الآخرة فمنها:

١- **الفوز برضا الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**[التوبة:١٠٠] .

٢- **عدم إضاعة الأجر: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)** [الكهف:٣٠] .

٣- **دخول الجنات: (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ)** [المائدة:٨٥] .

٤- **الجزاء من جنس العمل: (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَ الإِحْسَانُ)** [الرحمن:٦٠] .

٥- **النظر إلى وجه الله الكريم: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** [القيامة:٢٢-٢٣] وعَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نُودُوا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ، فَقَالُوا: وَمَا هُوَ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ)، ثُمَّ قَرَأَ: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)** [يونس:٢٦][(١)]

في النهاية: إنَّ هذه الوسائل العلاجية هي بمثابة الحياة للمسلمين لبناء مجتمعٍ قائمٍ على الأخلاق الحسنة، لذلك أقول لكلِّ مسلمٍ إذا أردت أن تعرف مقامَك فانظر أين أقامَك، إن عفوتَ عفا عنك، وإن صفحتَ صفحَ عنك، وإن غفرتَ غفرَ لك، وإن أحسنتَ أحسنَ إليك.

أسألُ اللهَ تعالى أن أكون قد وُفِّقت في كتابة هذا الموضوع، وقد عاد على قارئيه بالنفع، كما أسأله تعالى الإخلاص في كلِّ كلمة كتبتها، واللهُ الموفِّق.

*** ***

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٤٧/٣٩ ، ح ٢٣٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٥٢/١ ،ح ٢٣٩ .

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١-أنَّ الأخلاق الحسنة، والإلتزام بها، والإبتعاد عن الإساءة للمسلمين طريقٌ يُوصلُ إلى الجنة، ووسيلةٌ لبناءِ مجتمعٍ سليمٍ من العيوب، ومتآلفة فيه القلوب، للوصول إلى ما هو مطلوب.

٢-أنَّ الإساءة جاءت في القرآن الكريم بمعاني عديدة، وأساليب متنوعة دلَّت على مفهومها بحسب الموضع والإستخدام، حيثُ أنَّ لها مشتقات كثيرة، ونظائر وفيرة، وأساليب غزيرة تدلِّلُ على معنى الإساءة.

٣-تحذير القرآن الكريم، والسنة النبوية من الوقوع في الإساءة لِما يترتَّبُ عليها من آثام وآلام.

٤-حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على مقابلة الإساءة بالإحسان.

٥-خطورة من يُسيئ إلى ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته، مع وجود كثير من الفرق التي أساءت إليه، كالمعتزلة، والأشاعرة، والجهمية.

٦-مماداة اليهود والنصارى والمشركين في إساءتهم لله تعالى قولاً وفعلاً، فمن الأقوال مثلاً: قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول المشركين أنَّ

لله بنات...(سبحانه وتعالى عمَّا يقولون)، ومن الأفعال مثلاً: عبادة الأصنام، واتِّخاذ الشركاء مع الله تعالى، وكفران النعمة، وغيرهم.

٧-حفظ الله تعالى لكتابه رغم الإساءات والإفتراءات التي حاولت الطعن في كتاب الله تعالى، وردُّ كل الشبهات التي حاولت النيل مما أنزل الله تعالى.

٨-أنَّ إساءة الأقوام السابقة لأنبيائهم كانت سبباً في تعذيبهم وهلاكهم، وأنَّ كلَّ قوم من هذه الأقوام اشتهر بإساءات ومخالفات مُعيَّنة، كإنكار قوم نوح عليه السلام لدعوة نبيهم، وعناد بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وإساءة قوم لوط بارتكابهم الفحشاء، وحسد اليهود والمشركين للنبي ﷺ، وهكذا.

٩- أنَّ أدنى وسائل علاج الإساءة هو كظم الغيظ، وأعلاها الإحسان، وأنَّ استخدامها ينشرُ المحبة والمودة والأُخوة والتسامح بين الناس.

ثانياً: التوصيات:

١-وصية للباحثين: إنَّ هذه الرسالة تحتوي على الكثير من المواضيع التي تنفع الإسلام والمسلمين، لذا أتمنى منكم أن تتعاونوا على تعليم الناس كل ما يُفيدهم في دينهم ودنياهم.

٢-وصية للدعاة: الإكثار من المواعظ والدروس المتعلقة بالأخلاق الحسنة، وكيفية علاج الإساءة، وإقامة أسابيع وملتقيات دعوية، لبيان عظمة، وسماحة، وأخلاق الإسلام.

٣-وصية للعلماء: العمل على نهضة العلم الشرعي ونشره بين المسلمين، وعدم إساءة بعضكم لبعض للتخلص من الفرقة والإختلاف، والإكثار من المؤلفات التي تُبيِّن هلاك كثير من الأقوام السابقة التي أنكرت الرسل، وجحدت نِعم الله تعالى.

٤-وصية للمؤسسات الدينية: إقامة دورات شهرية في محاسن الأخلاق، وعمل مجلة تختصُّ بمعالجة الإساءات التي تقع بين المسلمين.

*** ***

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية:

م	الآية	رقمها	رقم الصفحة
	البقرة		
١	(وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)	٤٢	٨١
٢	(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ ....)	٤٩	١٠٨
٣	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون)	٥٣	١٠٥
٤	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ..)	٥٤	١٠٤
٥	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ ...)	٦١	٨٠، ١٠٦
٦	(...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...)	٦١	١١١
٧	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً...)	٦٧	١٠٤،١ ٠٧
٨	(...أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	٦٧	٧٣
٩	(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ...)	٧٥	٧٦

١٠	(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً...)	٨٠	٤٥
١١	(...بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً...)	٨١	٢٥
١٢	(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ...)	٨٣	١٢
١٢	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا...)	١٠٤	٧٦
١٣	(وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى..)	١١١	٤٤
١٤	(وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ...)	١١٦	٣٩
١٥	(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)	١١٨	٥٤
١٦	(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم...)	١٢٠	١٢٥
١٧	(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ...)	١٥٩	٧٨
١٨	(كذلكَ قَالَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِم...)	١٨٨	٥٥
١٩	(وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)	١٩٥	١٥٢،١ ٥٣
٢٠	(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)	٢٣٧	١٤١
٢١	(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً...)	٢٤٥	٥٤
٢٢	(اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ...)	٢٥٥	٣٩
٢٣	(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)	٢٨٠	٦٤

آل عمران			
٢٤	(اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ)	٢	٣٩
٢٥	(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)	١٣-١٢	١٣٠
٢٦	(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ..)	٧٨	٧٧
٢٧	(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزلَ التَّوْرَاةُ...)	٩٣	٧٩
٢٨	(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ..)	٩٩	٧٧
٢٩	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ *...)	١٠٠-١٠١	١٢٤
٣٠	(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ*...)	١٣٣-١٣٤	١٣٤، ١٤١
٣١	(...وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ...)	١٣٤	١٣٥
٣٢	(لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ...)	١٨١	٥٢
٣٣	(إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء...)	١٨١	٤٧
٣٤	(وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ...)	١٨٦	١١٥
النساء			
٣٥	(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...)	٣٦	١٥٣

٣٦	(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ...)	٤٦	٧٦
٣٧	(إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ...)	٤٨	٥١
٣٨	(اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)	٨٧	٣٩
٣٩	(...وَساءَتْ مَصِيراً)	٩٧	٢٥
٤٠	(...إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا)	١١٧– ١٢٠	٦٠
٤١	(...مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...)	١٢٣	٢٥
٤٢	(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ..)	١٤٠	٧١
٤٣	(إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ...)	١٤٩	١٤٠
٤٤	(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ...)	١٥٣	٧٥ ١٠٦، ١١٧،
٤٥	(...فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ...)	١٥٣	١١١
٤٦	(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ...)	١٦٠	٧٩
٤٧	(...وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ...)	١٦١	٨٠
٤٨	(...وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)	١٦١	٨٠
٤٩	(...وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)	١٦٤	١٠٤
المائدة			
٥٠	(... وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...)	٣	٦١

٥١	(...وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ...)	٣	٦٢
٥٢	(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...)	١٣	١٤٥
٥٣	(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً...)	١٤	٨٢
٥٤	(قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ..)	١٧	٤٩
٥٥	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...)	١٨	٤٣
٥٦	(...نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...)	١٨	٤٤
٥٧	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...)	٢٠	١٠٥
٥٨	(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ...)	٢٢	١٠٧
٥٩	(ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ...)	٢٣	١٠٧
٦٠	(فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)	٢٤	١٠٨
٦١	(رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)	٢٥	١٠٨
٦٢	(... قال كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ...)	٣١	٢٥
٦٣	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ..)	٦٤	٤٧
٦٤	(وساءَ ما يَعْمَلُونَ)	٦٦	٢٥
٦٥	(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...)	٦٧	١١٥
٦٦	(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...)	٧٢	٤٨

٦٧	(لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ...)	٧٣	٥٢،٥٠
٦٨	(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ...)	٨٢	١٢١
٦٩	(فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...)	٨٥	١٥٤
	الأنعام		
٧٠	(وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ....)	٨	١١٧
٧١	(...وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)	٩	٨١
٧٢	(وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ...)	١٠٠	٦٠
٧٣	(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ...)	١٠٨	٥٨، ١٢٨
٧٤	(قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ)	١٠٩	١١٦
٧٥	(...وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ...)	١١١– ١١٢	١٣٠
٧٦	(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ...)	١١٢	١١٥
٧٧	(وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...)	١٢١	٦١
٧٨	(وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ...)	١٢٤– ١٢٥	١٣١
٧٩	(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً...)	١٣٦	٦٢

٨٠	(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ...)	١٤٦	٨٠
٨١	(...يُوارِي سَوْآتِكُمْ...)	٢٦	٢٥
الأعراف			
٨٢	(وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا...)	٢٨	٦٥
٨٣	(وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً...)	٥٦	١٥٣
٨٤	(لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله...)	٥٩	٨٩،٨٦
٨٥	(قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)	٦٠	٨٩
٨٦	(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي)	٦٢،٦١	٩٠
٨٧	(فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ...)	٦٤	٩٣
٨٨	(وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ...)	٨٠-٨٤	٩٦
٨٩	(فانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِين)	٨٤	٩٩
٩٠	(قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ)	١٠٩	١٠٩
٩١	(قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ)	١١١- ١١٢	١٠٩
٩٢	(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ...)	١٣٠	١١٢
٩٣	(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ...)	١٣٣	١١٢
٩٤	(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا...)	١٨٠	٣٨

٩٥	(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)	١٩٩	١٣٦، ١٤١
التوبة			
٩٦	(اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ...)	٩	٦٧
٩٧	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ ...)	٣٠	٤٧، ٥٤ ٦٠،
٩٨	(... وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ...)	٣٠	٥٣
٩٩	(...سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)	٣١	٥١
١٠٠	(زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ...)	٣٧	٢٥
١٠١	(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...)	٦١	١٢٦
١٠٢	(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...)	٦٥	١٢٥
١٠٣	(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...)	٦٥-٦٦	٧٣
١٠٤	(يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ...)	٧٤	١٢٦
١٠٥	(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ...)	١٠٠	١٥٣
١٠٦	(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ...)	١٠٧- ١١٠	١٢٧
يونس			

١٠٧	(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ...)	١٨	٥٩،٣٩
١٠٨	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى...)	٢٦	١٥٤
١٠٩	(وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)	٣٦	١٩
١١٠	(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...)	٧١-٧٣	٩٧
١١١	(وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...)	٧٣	٩٣
١١٢	(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...)	٨٨	١٠٨، ١١٢
هود			
١١٣	(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)	٢٥	٨٩
١١٤	(فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا...)	٢٧	٨٩،٣٤
١١٥	(...وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...)	٢٧	٩٠
١١٦	(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي...)	٢٨	٩٠
١١٧	(وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً...)	٢٩	٩٠
١١٨	(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ...)	٣١	٣٥
١١٩	(وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...)	٣٤	٩٠
١٢٠	(وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ	٣٦	٩٢،٨٨

	مَنْ قَدْ آمَنَ...)		
١٢١	(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...)	٣٧	٩٢
١٢٢	(...وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ...)	٣٨	٣٤،٩٠ ٩١،
١٢٣	(...وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)	٤٠	٨٧،٩٣
١٢٤	(قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...)	٤٠	٩٧
١٢٥	(...وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...)	٤٢	٩٣
١٢٦	(وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ...)	٤٢	٩٣
١٢٧	(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي...)	٤٤	٩٣
١٢٨	(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ...)	٤٨	٩٣
١٢٩	(قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا...)	٥٣-٥٦	٣٥
١٣٠	(...سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً...)	٧٧	٢٥
١٣١	(وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ...)	٧٧-٨٣	٩٦
يوسف			
١٣٢	(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً...)	٢٢	١٥٣
١٣٣	(...إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)	٩٠	١٤٩
١٣٤	(قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)	٩٢	١٤٩
الرعد			

١٣٥	(لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)	٧	١١٦
١٣٦	(...وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)	٢٥	٢٥
إبراهيم			
١٣٧	(وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...)	٦	١٠٥
الحجر			
١٣٨	(...لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)	٧	١٢٦
١٣٩	(...فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا...)	٧٤	٩٩
١٤٠	(...فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)	٨٥	١٤٥
١٤١	(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ ...)	٨٥	١٤٥
١٤٢	(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)	٩٤	١١٥
النحل			
١٤٣	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)	٢٤	٦٩
١٤٤	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى...)	٢٦	٢٤
١٤٥	(...إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ)	٢٧	٢٤
١٤٦	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ...)	٣٠	١٢٠
١٤٧	(جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها. . .)	٣١	١٢٠
١٤٨	(...فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا...)	٣٤	٢٥

١٤٩	(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ...)	٣٦	٨٩
١٥٠	(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ)	٥٧	٥٨،٥٩
١٥١	(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...)	٩٠	١٥٢
١٥٢	(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً...)	١١٢	٦٣
١٥٣	(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ)	١٢٨	١٥٣
الإسراء			
١٥٤	(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...)	٧	١٢
١٥٥	(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...)	٣٦	٣٨
١٥٦	(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً...)	٤٠	٥٦،٥٥
١٥٧	(...إن تتبعون إلَّا رجلاً مسحوراً)	٤٧	١٠٩
١٥٨	(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...)	١٠١	١٠٩
الكهف			
١٥٩	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)	٣٠	١٥٤
١٦٠	(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...)	٣٤-٣٨	٦٣
١٦١	(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي...)	٥٠	٦٠
مريم			
١٦٢	(يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...)	٤٤	٦٠
١٦٣	(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا	٧٧	٦٤

	وَوَلَدًا)		
١٦٤	(إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدَاً)	٨٧	٤٦
طه			
١٦٥	(...بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...)	٢٢	٢٤
الأنبياء			
١٦٦	(...قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)	٦٨	٣٤
١٦٧	(وَ لُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً...)	٧٤-٧٧	٩٨
١٦٨	(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...)	٩٨-١٠٠	١١٩
الحج			
١٦٩	(فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ...)	٦١	
المؤمنون			
١٧٠	(مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...)	٢٤	٨٩
١٧١	(قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)	٢٦	٩٢
١٧٢	(ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا...)	٤٥-٤٦	١٠٥
١٧٣	(...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ...)	٩٦	١٢، ٢٠،٢٥
النور			
١٧٤	(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ...)	١١-٢٠	١٢٩
١٧٥	(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ...)	١٩	٣٤

١٧٦	(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ...)	٢٢	١٤٢
١٧٧	(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ...)	٢٢	١٤٨
الفرقان			
١٧٨	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَ إِفْكٌ افْتَرَاهُ...)	٤–٥	٧٢
١٧٩	(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا...)	٥–٦	١١٨، ٦٩
١٨٠	(وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل...)	٣٧	٩١
١٨١	(...أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً...)	٣٧	٩١
١٨٢	(...وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً)	٣٧	٩٢
١٨٣	(وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَ هُزُواً...)	٤١	٣٤
١٨٤	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً...)	٦٣	١٣٧
١٨٥	(...وساءَتْ مُسْتَقَرًّا)	٦٦	٢٥
الشعراء			
١٨٦	(إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً...)	٤	١١٧
١٨٧	(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لاَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)	٢٩	٣٤
١٨٨	(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)	١١٦	٩٠
النمل			
١٨٩	(...لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ...)	٤٦	٢٥
١٩٠	(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ...)	٥٦	٩٨

القصص			
١٩١	(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرض...)	٤	١١٠
١٩٢	(وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ...)	٣٨	١٠٨
العنكبوت			
١٩٣	(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...)	١٤	٩٠
١٩٤	(...إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي...)	٢٦	٩٦
١٩٥	(وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ...)	٢٨–٣٥	٩٧
١٩٦	(أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَر...)	٢٩	٩٧
١٩٧	(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى...)	٣١–٣٥	١٠٠
١٩٨	(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ...)	٥٠–٥١	١١٦
الروم			
١٩٩	(ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى...)	١٠	٢٤
لقمان			
٢٠٠	(الم* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ*هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ)	١–٣	١٥٣
السجدة			
٢٠١	(ثُمَّ إلى ربِّكُم تُرْجَعُون)	١١	١٣
الأحزاب			
٢٠٢	(وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ...)	٢٦	١٢٢
سبأ			
٢٠٣	(سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا	٤١	٦١

	يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)		
فاطر			
٢٠٤	(الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عنَّا الَّحَزَنَ...)	٣٤	١٣٧
يس			
٢٠٥	(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ...)	٣٠	١١٥
٢٠٦	(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...)	٦٠-٦١	٦٠
الصافات			
٢٠٧	(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)	٧٥	٩٢
٢٠٨	(أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)	٩٥-٩٦	٦١
٢٠٩	(فاستفتهم ألربِّكَ البناتُ ولهم البنون)	١٤٩	٥٨
٢١٠	(أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ*...)	١٥١- ١٥٢	١١٩
٢١١	(أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ*...)	١٥١- ١٥٤	٥٥
٢١٢	(أَصْطَفَى البنات على البنين*...)	١٥٣- ١٥٤	٥٦
٢١٣	(فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ)	١٧٧	٢٥
ص			
٢١٤	(أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً...)	٥	٣٩
٢١٥	(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ...)	٧	١١٥
الزمر			

٢١٦	(ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى...)	٣	٦٠
فصلت			
٢١٧	(...وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ...)	٢٣	٢٥
٢١٨	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ...)	٢٦	٧٣
٢١٩	(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ...)	٣٤	١٤
٢٢٠	(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)	٣٤-٣٥	١٢
٢٢١	(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ...)	٣٤-٣٥	١٣٤
٢٢٢	(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ...)	٤٦	١٣
٢٢٣	(وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى)	٥٠	٦٤
الشورى			
٢٢٤	(...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)	١١	٣٩
٢٢٥	(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...)	٢٥	١٤٠
٢٢٦	(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الآثْمِ وَالْفَوَاحِشَ...)	٣٧	١٥٠
٢٢٧	(...وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)	٣٧	١٥٠
٢٢٨	(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...)	٤٠	١٤٠
٢٢٩	(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...)	٤٠	١٤١
الزخرف			
٢٣٠	(وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً...)	١٩	٥٦
٢٣١	(وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)	٣١	١٣١
٢٣٢	(...فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)	٨٩	١٤٥
الدخان			

٢٣٣	(وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ*...)	٣٠-٣١	١١٠
الجاثية			
٢٣٤	(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ*...)	٧-٨	٧٠، ١١٨
٢٣٥	(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا...)	١٥	٢١
٢٣٦	(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخذَ إِلَهَه هَواهُ...)	٢٣	٦٨
الأحقاف			
٢٣٧	(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ...)	٩	١١٦
الفتح			
٢٣٨	(...عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ...)	٦	٢٥
الحجرات			
٢٣٩	(اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)	١٢	١٩
الذاريات			
٢٤٠	(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم...)	٥٢-٥٣	١١٥
الطور			
٢٤١	(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)	٣٩	٥٨
النجم			
٢٤٢	(أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ	٢١،٢٢	٥٥
القمر			
٢٤٣	(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ...)	٩	٨٩
٢٤٤	(فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ *...)	١٠-١٢	٩٢

٢٤٥	(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ *...)	١١-١٢	٩٧
الرحمن			
٢٤٦	(هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَ الإِحْسَانُ)	٦٠	١٥٤
الحشر			
٢٤٧	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...)	١١-١٣	١٢٢
الممتحنة			
٢٤٨	(...وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ...)	٢	٢٥
الملك			
٢٤٩	(...سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...)	٢٧	٢٥
القلم			
٢٥٠	(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)	١٥	١٢٧
٢٥١	(وإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ...)	٥١	٤٠، ١٣١
نوح			
٢٥٢	(...إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارً...)	٥	٩٠
٢٥٣	(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ...)	٧	٨٨، ٩٠
٢٥٤	(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *...)	١٠-١٤	٨٩
٢٥٥	(قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي...)	٢١	٨٧
٢٥٦	(وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا...)	٢٣	٨٨، ٨٩
٢٥٧	(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فأُدْخِلُوا نَاراً...)	٢٥	٩٣

٢٥٨	(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا *...)	٢٦-٢٧	٩٢
القيامة			
٢٥٩	(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ *إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)	٢٢-٢٣	١٥٤
النازعات			
٢٦٠	(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)	٢٤	١٠٨
المطففين			
٢٦١	(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)	١٤	٦٩
٢٦٢	(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)	١٥	٦٨
الفجر			
٢٦٣	(وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ*...)	١٠-١٢	١١٠
الضحى			
٢٦٤	(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى*...)	٣-٥	١١٨
القلم			
٢٦٥	(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *...)	١-٢	١١٩
٢٦٦	(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى *...)	٦-٧	١١٩
المسد			
٢٦٧	(تَبَّتْ يَدآ أَبِي لهبٍ وتَبَّ*...)	١-٢	١١٦

*** ***

فهرس الأحاديث:

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
١	(ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ أَذْكُرُكَ إِذَا غَضِبْتُ...)	١٣٥
٢	(أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَلامُ بْنُ مِشْكَمٍ...)	٤٧
٣	(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نُودُوا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ...)	١٥٤
٥	(استأذن رهطٌ من اليهود على النبي ﷺ...)	١٢٣
٦	(أَلَا أنبِّئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا...)	٢٢
٧	(اللهم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون)	١٥٢
٨	(اللهم إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي)	١٣٩
٩	(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...)	١٥٢
١٠	(أنَّ المنافقين استغلوا حادثة وقعت لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–)	١٢٩
١١	(أفشِ السَّلام وابذل الطَّعام...)	١٤
١٢	(إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ...)	٦٩
١٣	(أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا...)	٧٦
١٤	(إنَّ نبيَّ اللهِ نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية..)	٩٣
١٥	(أنؤاخذ بما عملنا في الجاهليَّة؟...)	١٥
١٦	(جَاءَتِ الْيَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلَا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللَّهُ...)	٦١
١٧	(جلس رسول الله ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد..)	١٢٧
١٨	(خَرَجْتُ مَعَ عَمِّي فِي غَزَاةٍ...)	١٣٠

١٩	(دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ بَيْتَ الْمدارِسِ فَوَجَدَ مِنْ يَهُودَ أُنَاسًا كَثِيرًا..)	
٢٠	(دعه لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه)	١٣٠
٢١	(سَمِعَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَجُلا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ: وَالنَّبِيُّ-ﷺ....)	١٢٦
٢٢	(علِّمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت...)	١٥
٢٣	(...فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض....)	٨٦
٢٤	(قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء أرغبُ بطوناً، ولا أكذبُ ألسنةً...)	٧٣
٢٥	(كان النَّضرُ بن الْحَارِثِ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وكان يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ...)	٦٨
٢٦	(كَانَ نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِﷺ فيجلس إليه فيسمع مِنْهُ...)	١١٨
٢٧	(كنَّا في غزاة فكسع (أي ضرب) رجلٌ من المهاجرين..)	١٣٩
٢٨	(كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية..)	١٤١
٢٩	(كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت...)	١٥
٣٠	(لا يدخل أحد الجنَّة إلّا أري مقعده من النَّار...)	٢٠
٣١	(لا يكون اللَّعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)	١٦
٣٢	(لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسنُ الظَّنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ)	٢١
٣٣	(لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ...)	١٠١
٣٤	(لمَّا نزل على النبي ﷺ القرآن، أبطأ عنه جبريل أياماً...)	١١٨
٣٥	(لمَّا نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي ﷺ على الصفا...)	١١٦
٣٦	(لم يكن فاحِشًا ولا متفحِّشًا ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزِي	١٤٥،١٣٦

	بالسيِّئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)	
٣٧	(لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا)	١٢٠
٣٨	(لَوْلَا أَن بني إِسْرَائِيل قَالُوا...)	١١٤
٣٩	(مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟)	١٥٦
٤٠	(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)	٥٠
٤١	(مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ...)	١٣٦
٤٢	(مَن أحسن فيما بقي، غُفِر له ما مضى...)	١٥
٤٣	(من سُئل عن علمٍ يعلمُه فكتمه ألجمه اللهُ يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ)	٧٩
٤٤	(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...)	١٤
٤٥	(من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّله منه اليوم...)	١٥
٤٦	(مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ...)	١٣٥
٤٧	(مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ...)	١٠١
٤٨	(نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو...)	٧٠
٤٩	(هذه أسماء رجال صالحين...)	٨٨
٥٠	(يُوشكُ أن تعرفوا أهلَ الجنَّة من أهل النَّار...)	١٤

*** ***

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: كتب التفسير:

١-**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**-أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢-**أسباب نزول القرآن**-أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ عدد الأجزاء: ١.

٣- **أصول في التفسير**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية- الناشر: المكتبة الإسلامية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م- عدد الأجزاء: ١.

٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** - محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ١٣٩٣ هـ - الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م

٥-**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري

الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م - عدد الأجزاء: ٥ .

٦-**بحر العلوم** - أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي- عدد الأجزاء: ٣ - دار النشر: دار الفكر - بيروت - تحقيق: د. محمود مطرجي .

٧-**التحرير والتنوير - الطبعة التونسية**- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م- عدد الأجزاء / ٣٠.

٨-**تفسير السراج المنير** - محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين - عدد الأجزاء :٤ - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

٩-**تفسير الشعراوي – الخواطر**- محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)- الناشر: مطابع أخبار اليوم- عدد الأجزاء: ٢٠ .

١٠-**تفسير القرآن** – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – سنة الولادة ٤٢٦هـ/ سنة الوفاة ٤٨٩هـ – تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم – الناشر دار الوطن – الرياض- سنة النشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م- مكان النشر السعودية .

١١-**تفسير القرآن العظيم**- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤هـ]- المحقق : سامي بن محمد سلامة- الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م- عدد الأجزاء : ٨ .

١٢-**تفسير المراغي**- الشيخ: أحمد مصطفى المراغي- دار النشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – عدد الأجزاء : ٣٠ .

١٣-**تفسير المنار**- محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة النشر: ١٩٩٠ م- عدد الأجزاء: ١٢ جزءاً .

١٤-**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** – د: وهبة بن مصطفى الزحيلي – الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق- الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ- عدد الأجزاء : ٣٠ .

١٥-**التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه** – أحمد بن عبد الله الزهراني – الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: الأعداد ٨٥ – ١٠٠ السنوات ٢٢ – ٢٥ المحرم ١٤١٠ – ذو الحجة ١٤١٣ هـ- عدد الأجزاء: ١.

١٦-**التفسير المظهري**- محمد ثناء الله العثماني المظهري- الناشر: مكتبة رشديه – المطبعة : باكستان- دار إحياء التراث العربي ، ببيروت ، ١٤٢٥ هج = ٢٠٠٤ م سنة الطبع : ١٤١٢ هـ

١٧- **تفسير النسفي** – أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسف – دار النشر : دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥ – عدد الأجزاء: ٤ .

١٨-**التفسير الوسيط** – د: وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ- عدد الأجزاء: ٣ مجلدات في ترقيم مسلسل واحد .

١٩-**التفسير الواضح**- الحجازي، محمد محمود- الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت-

الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ .
٢٠-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م – عدد الأجزاء: ١ .
٢١-**التيسير في أحاديث التفسير**- محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)- الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م – عدد الأجزاء:٦.
٢٢-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن** – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة- الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م- عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد، ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس .
٢٣-**الجامع لأحكام القرآن** -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)- المحقق : هشام سمير البخاري- الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .
٢٤-**الدر المنثور**- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)- الناشر: دار الفكر – بيروت- عدد الأجزاء: ٨ .
٢٥-**دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)- الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م- عدد الأجزاء: ٢ .
٢٦-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** – شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي- الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت- سنة الطبع: ١٤١٥ هـ- عدد الأجزاء:١٦.
٢٧-**زاد المسير في علم التفسير**- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤- عدد الأجزاء: ٩ .
٢٨-**الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**- أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين – الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية- الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

عدد الأجزاء : ٤.
٢٩-صفوة التفاسير- محمد علي الصابوني- الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- عدد الأجزاء: ١ .
٣٠-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت- عدد الأجزاء : ٤ .
٣١-لباب التأويل في معاني التنزيل-علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)- تصحيح: محمد علي شاهين- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٣٢-اللباب في علوم الكتاب- أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي- دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان- ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م – الطبعة : الأولى- عدد الأجزاء:٢٠.
٣٣-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)- المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
٣٤-معالم التنزيل- محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م- عدد الأجزاء : ٨.
٣٥-الوسيط في تفسير القرآن المجيد- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م – عدد الأجزاء: ٤.

ثانياً: كتب علوم القرآن:

١-الاتقان في علوم القرآن- أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
المحقق : مركز الدراسات القرآنية- دار النشر : مجمع الملك فهد- البلد : السعودية
الطبعة : الأولى- عدد الأجزاء : ٧ (٦+فهارس).
٢-المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) -المحقق: صفوان عدنان الداودي- الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .

٣-**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – المحقق: محمد علي النجار – الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – عدد الأجزاء: ٦.

٤-**معاني القرآن الكريم**– الناشر : جامعة أم القرى – مكة المرمة– الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ تحقيق : محمد علي الصابوني– عدد الأجزاء : ٦ .

٥-**الموسوعة القرآنية** – إبراهيم الإبيارى– الناشر: مؤسسة سجل العرب– سنة الطبع : ١٤٠٥.

٦-**الموسوعة القرآنية، خصائص السور**– جعفر شرف الدين– الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ .

ثالثاً: كتب السنة وشروحها:

١-**التيسير بشرح الجامع الصغير**– الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي – دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م– الطبعة: الثالثة– عدد الأجزاء: ٢.

٢-**جامع الأصول في أحاديث الرسول**– مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)– تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون– الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان– الطبعة : الأولى .

٣-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**– أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني– الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥– عدد الأجزاء : ١٠.

٤-**سنن ابن ماجه** – ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)– الناشر: دار الرسالة العالمية– الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م– عدد الأجزاء: ٥ .

٥-**سنن أبي داود** – أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)– الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت– عدد الأجزاء: ٤.

٦-**شعب الإيمان**– أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)– حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد

أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند
الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند– الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م – عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).
٧–**صحيح البخاري**– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي– المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ– عدد الأجزاء: ٩.
٨–**صحيح مسلم**–مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– عدد الأجزاء: ٥.
٩–**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**– علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)– الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م– عدد الأجزاء: ٩ .
١٠–**المعجم الأوسط**– سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)– المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين – القاهرة– عدد الأجزاء: ١٠.
١١–**مسند الإمام أحمد بن حنبل**– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)– المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون– إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي– الناشر: مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
١٢–**مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**– أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)– المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)– وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة– الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م) –عدد الأجزاء: ١٨.
١٣–**النهاية في غريب الحديث والأثر**– مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)–الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م– تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي– عدد الأجزاء: ٥ .

رابعاً: كتب اللغة:

١-**تاج العروس من جواهر القاموس**- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي- تحقيق مجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية- عدد الأجزاء:٤٠ .

٢-**التوقيف على مهمات التعاريف**- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)- الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- عدد الأجزاء: ١ .

٣- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م- عدد الأجزاء: ٦ .

٤-**الفروق اللغوية** الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة- تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي الموضوع: اللغة- عدد الصفحات: ٦٣٠- عدد الاجزاء: جزء واحد الطبعة: الأولى .

٥-**كتاب العين**- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي- الناشر : دار ومكتبة الهلال تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي- عدد الأجزاء : ٨ .

٦-**كتاب الكليات**- أبو البقاء الكفومى- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - عدد الأجزاء: ١ دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ،- تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري .

٧-**لسان العرب** - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- الناشر : دار صادر - بيروت- الطبعة الأولى- عدد الأجزاء : ١٥.

٨-**مختار الصحاح** - محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي - الناشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ - تحقيق : محمود خاطر - عدد الأجزاء :١.

٩-**المعجم الوسيط** - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار دار النشر : دار الدعوة- تحقيق: مجمع اللغة العربية - عدد الأجزاء / ٢.

١٠-**معجم مقاييس اللغة**- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - المحقق : عبد السلام محمد هارون- الناشر : دار الفكر- الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.- عدد الأجزاء : ٦ .

خامساً: كتب الرقائق والآداب:

١-**بهجة قلوب الأبرار** - أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ
عدد الأجزاء:١- عدد الصفحات: ٢٠٨ .

٢-**دستور الأخلاق في القرآن**- محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م- عدد الأجزاء: ١.

٣-**الزواجر عن اقتراف الكبائر**- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)- الناشر: دار الفكر- الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م- عدد الأجزاء: ٢.

٤-**مكارم الأخلاق للطبراني**- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)- كتب هوامشه: أحمد شمس الدين- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م- عدد الأجزاء: ١. [الكتاب مرقم آليا].

٥-**مكارم الأخلاق لمن أراد الخلاق** - أنور بن أهل الله بن أنوار الله - عدد الأجزاء: ١ [الكتاب مرقم آليا].

٦-**مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ**- خالد بن جمعة بن عثمان الخراز- الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م-عدد الأجزاء: ١.

٧-**موسوعة الأخلاق الإسلامية** - مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف - الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net - عدد الأجزاء: ٣ تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

٨-**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ** - عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي- الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة- عدد الأجزاء: ١٢(١١ ومجلد للفهارس) .

سادساً: كتب السيرة النبوية:

١-**البداية والنهاية**-عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ).
تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر- الناشر:
هجر للطباعة والنشر – الجيزة-الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م- عدد الأجزاء: [٢٠] .
٢-**الرحيق المختوم**- صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)- الناشر: دار الهلال –
بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)- الطبعة:الأولى- عدد الأجزاء: ١.
٣-**سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام**-صالح بن طه عبد الواحد
راجعهُ وقدَّم لهُ: فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي، فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
الناشر: مكتبة الغرباء، الدار الأثرية .الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ- عدد الأجزاء: ١.
٤-**السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**- علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي،
أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الثانية - ١٤٢٧هـ- عدد الأجزاء: ٣.
٥-**السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**- محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى:
١٤٠٣هـ)- الناشر: دار القلم – دمشق- الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ- عدد الأجزاء: ٢.
٦-**السيرة النبوية**- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)
تحقيق: مصطفى عبد الواحد- الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان
عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م .
٧-**السيرة النبوية لابن هشام**-عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد
سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد-الناشر: دار الجيل
سنة النشر: ١٤١١هـ- مكان النشر بيروت .
٨-**طريق الهجرتين وباب السعادتين**- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله- الناشر: دار
ابن القيم – الدمام- الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٤- تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر- عدد
الأجزاء : ١.
٩-**قصص الأنبياء**- الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٧٤ هـ- تحقيق: مصطفى
عبد الواحد- يطلب من دار الكتب الحديثة ١٤ شارع الجمهورية بعابدين ت: ٩١٦١٠٧ الطبعة
الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م- مطبعة دار التأليف ٨ شارع يعقوب بالمالية .

سابعاً: كتب متنوعة:

١-**أَركانُ الإيمانِ**- جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود- الطبعة: الرابعة، مزيدة ومنقحة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م- عدد الأجزاء: ١.

٢-**بدائع الفوائد**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان- عدد الأجزاء: ٤.

٣-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار المعرفة – المغرب- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م- عدد الأجزاء: ١.

٤-**رسائل ابن حزم الأندلسي**- ابن حزم- المحقق : إحسان عباس- الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الطبعة: الجزء:١ – الطبعة : ١ ، ١٩٨٠.

الجزء: ٢ – الطبعة: ٢، ١٩٨٧.

الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٨١.

الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٨٣.

عدد الأجزاء: ٤.

٥-**الزهد ويليه الرقائق** – عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله – الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي – عدد الأجزاء : ١.

٦-**عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك**- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عدد الأجزاء: ١.

٧-**شرح الرسالة التدمرية**- محمد بن عبد الرحمن الخميس- الناشر: دار أطلس الخضراء الطبعة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م- عدد الأجزاء: ١.

٨-**شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية**- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)- الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ- عدد الأجزاء: ١.

٩-**الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**- أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ)- الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- عدد الأجزاء: ١.

١٠-**مجموع الفتاوى**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

١١-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي- الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م- عدد الأجزاء:٢ .

١٢-**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** – محمد فؤاد عبد الباقي **–** القاهرة- دار الحديث- طبع: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٣-**المفيد في مهمات التوحيد**- الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي- الناشر: دار الاعلام الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ- عدد الأجزاء: ١.

١٤-**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر –** جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي **–** دار النشر : مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م – الطبعة : الأولى **–** عدد الأجزاء / ١ – تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي.

*** ***

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
المقدمة	٢
أهمية الموضوع	٣
أسباب اختيار الموضوع	٣
أهداف البحث	٣
الدراسات السابقة	٤
منهج البحث	٤
خطة البحث	٥
التمهيد: مفهوم الإساءة وعدد ورودها ومشتقاتها ونظائرها والأساليب التي تدلُّ عليها	٩
المبحث الأول: مفهوم الإساءة	١٠
المطلب الأول: الإساءة لغة واصطلاحا	١١
المطلب الثاني: ذم الإساءة والنهي عنها	١٢
المطلب الثالث: آثارُ الإساءة وأقوالُ السلف فيها	١٦
المطلب الرابع: أسباب الوقوع في الإساءة والوسائل المعينة على تركها.	١٩
المبحث الثاني: عدد مرات ورود الإساءة ومعانيها في السياق القرآني	٢٢
المطلب الأول: عدد ورود الإساءة في القرآن الكريم	٢٣
المطلب الثاني: معاني الإساءة في القرآن الكريم	٢٤

المبحث الثالث: مشتقات الإساءة ونظائرها	٢٦
المطلب الأول: مشتقات الإساءة	٢٧
المطلب الثاني: نظائر الإساءة في القرآن الكريم	٢٨
المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي تدلُّ على الإساءة	٣٣
مطلب: أساليب قرآنية تدلُّ على الإساءة	٣٤
الفصل الأول: مفهوم الإساءة إلى الذات الإلهية وأنواعها	٣٦
المبحث الأول: تعريف الإساءة إلى الذات الإلهية	٣٧
المطلب الأول: تعريف الإساءة إلى الذات الإلهية	٣٨
المطلب الثاني: أقسام الإساءة إلى الذات الإلهية	٣٩
المبحث الثاني: أنواع الإساءة إلى الذات الإلهية	٤٢
المطلب الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية بالقول	٤٣
المطلب الثاني: الإساءة إلى الذات الإلهية بالفعل	٥٩
الفصل الثاني: مفهوم الإساءة إلى الكتب السماوية	٦٦
المبحث الأول: مفهوم الإساءة إلى القرآن الكريم	٦٧
المبحث الثاني: مفهوم الإساءة إلى التوراة والإنجيل	٧٥
أولاً: الآيات المشتركة في الإساءة إلى التوراة والإنجيل	٧٥
ثانياً: الإساءة إلى التوراة	٧٩
ثالثاً: الإساءة إلى الإنجيل	٨٢
الفصل الثالث: مفهوم الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام	٨٤
المبحث الأول: مفهوم الإساءة لنوح عليه السلام في القرآن	٨٥
المطلب الأول: إساءة قوم نوح عليه السلام لنبيهم	٨٦
أولاً: التعريف بسيدنا نوح عليه السلام	٨٦
ثانياً: قصة نوح عليه السلام وإساءة قومه له	٨٧

١-حال الناس قبل بعثته	٨٨
٢-دعوة نوح عليه السلام	٨٩
٣-موقف قومه من دعوته	٨٩
٤-أهمُّ السمات التي امتاز بها نوح عليه السلام	٩٠
٥-سمات المنكرين لدعوة نوح عليه السلام	٩٠
المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم نوح عليه السلام ونجاة المؤمنين	٩١
المبحث الثاني: مفهوم الإساءة للوط عليه السلام في القرآن	٩٥
المطلب الأول: إساءة قوم لوط عليه السلام لنبيهم	٩٦
أولاً: التعريف بسيدنا لوط عليه السلام	٩٦
ثانياً: قصة لوط عليه السلام وإساءة قومه له	٩٦
المطلب الثاني: هلاك المسيئين من قوم لوط عليه السلام	٩٩
عقوبة من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط عليه السلام	١٠١
العبرة من قصة لوط عليه السلام	١٠٢
المبحث الثالث: مفهوم الإساءة لموسى عليه السلام في القرآن	١٠٣
المطلب الأول: إساءة قوم موسى عليه السلام لنبيهم	١٠٤
أولاً: التعريف بسيدنا موسى عليه السلام	١٠٤
ثانياً: قصة موسى عليه السلام وإساءة قومه له	١٠٤
أولاً: إساءة بني إسرائيل	١٠٥
ثانياً: إساءة فرعون	١٠٨
المطلب الثاني: تعذيب المسيئين من قوم موسى عليه السلام وهلاكهم	١١١
المبحث الرابع: مفهوم الإساءة للنبي محمد ﷺ	١١٤
المطلب الأول: إساءة المشركين للنبي ﷺ	١١٥
المطلب الثاني: إساءة اليهود للنبي ﷺ	١٢١
المطلب الثالث: إساءة المنافقين للنبي ﷺ	١٢٥

الفصل الرابع: وسائل علاج الإساءة في ضوء القرآن الكريم	١٣٢
المبحث الأول: علاج القرآن الكريم للإساءة بكظم الغيظ	١٣٣
المطلب الأول: تعريف كظم الغيظ لغة واصطلاحا	١٣٤
المطلب الثاني: ثواب كظم الغيظ وفضله	١٣٤
المبحث الثاني: علاج القرآن الكريم للإساءة بالعفو عن الناس	١٣٨
المطلب الأول: تعريف العفو لغة واصطلاحا	١٤١
المطلب الثاني: ثواب العفو عن الناس ومنزلته	١٣٩
المبحث الثالث: علاج القرآن الكريم للإساءة بالصفح عن الناس	١٤٣
المطلب الأول: تعريف الصفح لغة واصطلاحا	١٤٤
المطلب الثاني: ثواب الصفح عن الناس وفضله	١٤٤
المبحث الرابع: علاج القرآن الكريم للإساءة بالمغفرة للناس	١٤٧
المطلب الأول: تعريف المغفرة لغة واصطلاحا	١٤٨
المطلب الثاني: ثواب المغفرة للناس ومنزلتها	١٤٨
المبحث الخامس: علاج القرآن الكريم للإساءة بالإحسان إلى الناس	١٥١
المطلب الأول: تعريف الإحسان لغة واصطلاحا	١٥٢
المطلب الثاني: ثواب الإحسان إلى الناس ومنزلته	١٥٢
الخاتمة: النتائج والتوصيات	١٥٥
الفهارس	١٥٨
فهرس الآيات القرآنية	١٥٨
فهرس الأحاديث النبوية	١٧٨
فهرس المصادر والمراجع	١٨١
فهرس الموضوعات	١٩١